الشيخ ندا
أبو أحمد

الموسوعة الندية في الآداب الإسلامية

(٣)

الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

الشيخ/ندا أبو أحمد

الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

الأدب مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم

الأدب الأول: تقديم محبة النبي صلى الله عليه وسلم فوق محبة الناس أجمعين:

علامات حب النبي صلى الله عليه وسلم.

ولا تقدم محبة النبي صلى الله عليه وسلم فوق محبة الخلق فقط، بل تقدم فوق محبة النفس.

مِن فضائِلِ مَحَبَّةِ الرَّسولِ صلى الله عليه وسلم. (تذكر في ثنايا الرسالة)

مَحَبَّةُ النبي صلى الله عليه وسلم على دَرَجَتينِ.

صُوَرٌ مِن مَحَبَّةِ الصَّحابةِ للرَّسولِ صلى الله عليه وسلم. (تذكر في ثنايا الرسالة)

الأدب الثاني: أن لا يُذكَر النبي صلى الله عليه وسلم أو يُنادى باسمه المُجرَّد :

الأدب الثالث: كثرة الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم:

– من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم صلاةً واحدةً، صلى الله تعالى عليه عشر صلوات.

– الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سبب في محو السيئات، وكتب الحسنات، ورفع الدرجات.

– الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم معروضة عليه، ويسلم على من سلم عليه.

–من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم كفاه الله همَّه، وغفر له ذنبه.

– الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سبب لقبول الدعاء.

– الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سبيل للفوز بشفاعته يوم القيامة.

– أولى الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة أكثرهم صلاةً عليه.

ومن جلس في مجلس لم يُذكر فيه الله، أو يُصَلَّى فيه على النَّبيّ صلى الله عليه وسلم إِلاَّ كَانَ هَذَا الْمَجلِس عَلَيه حَسرةً يَوم الْقِيَامة، وَكَأَنَّه قَامَ عَنْ جِيفَةٍ نَتنَةٍ.

ومن لم يصلِّ على النبي صلى الله عليه وسلم فهو بخيل.

الذلة والهوان والصِّغار على من لم يصلِّ على الحبيب المختار صلى الله عليه وسلم.

–من سمع اسم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يُصَلِّ عليه أبعده الله، ولا تسأل عن حال من أبعده الله.

ومن لم يصلِّ على النبي صلى الله عليه وسلم فقد خطئ طريق الجنة.

كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (صيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم):

الأدب الرابع: تَلَقِّي خَبَر النبي صلى الله عليه وسلم بالقَبولِ والتَّصديقِ:

صورٌ مِن تَصديقِ الصَّحابةِ للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم. (تذكر في ثنايا الرسالة)

الأدب الخامس: الانقياد التام، والطاعة المطلقة للنبي صلى الله عليه وسلم:

صُوَرٌ مِن حِرصِ الصَّحابةِ على طاعةِ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. (تذكر في ثنايا الرسالة)

فضل طاعة النبي صلى الله عليه وسلم. (تذكر في ثنايا الرسالة)

الأدب السادس: عدم مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم:

عاقبة مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وعصيانه. (تذكر في ثنايا الرسالة)

الأدب السابع: ألا يُتقدَّم بين يديه صلى الله عليه وسلم بأمر ولا نهي .

الأدب الثامن: عدم الابتداع في دينه صلى الله عليه وسلم:

الأدب التاسع: التسليم لحُكم النبي صلى الله عليه وسلم والرِّضا به:

عاقبة من لم يسلم للنبي صلى الله عليه وسلم. (تذكر في ثنايا الرسالة)

الأدب العاشر: الاهتداء بهدي النبيِّ صلى الله عليه وسلم واتخاذه القدوةَ الحسنة:

وكثير من الشباب قد انسلخ من هويته الإسلامية، وراح يُقلِّد ويتابع شرَّ البرية.

الأدب الحادي عشر: توقير وتبجيل النبي صلى الله عليه وسلم:

أمثلة على توقير وتعظيم الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم. (تذكر في ثنايا الرسالة)

ومن مظاهر توقير النبي صلى الله عليه وسلم عدم رفع الصوت فوق صوته.

وتوقير وتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم يكون حتى بعد وفاته.

الأدب الثاني عشر: تقديم ما يحبه النبي صلى الله عليه وسلم على ما تحبه النفس وتهواه:

الأدب الثالث عشر: محبة وموالاة من يواليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وكراهية ومعاداة من يعادي:

الأدب الرابع عشر: توقير أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفة حقوقهم.

الأدب الخامس عشر: محبة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، والترضي عنهم، والتأسي بهم:

وصحابة النبي صلى الله عليه وسلم هم الذين اصطفاهم الله –عز وجل– لصحبة نبيه ﷺ.

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن سبهم أو التنقيص منهم.

الأدب السادس عشر: نصرة النبي صلى الله عليه وسلم والذب عنه:

الأدب السابع عشر: حفظ سنته صلى الله عليه وسلم والدفاع عنها ونشرها:

الأدب الثامن عشر: عدم الكذب على النبي ﷺ، وتحري صحة الأحاديث ونسبتها إليه:

الأدب التاسع عشر: عدم الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم:

الأدب العشرون: نشهد له صلى الله عليه وسلم أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة:

وأخيرًا يا أحباب رسول الله ﷺ هل علمتم أن رسول الله ﷺ يشتاق إليكم، وإلى رؤيتكم، فهلا اشتقتم أنتم إليه؟

مقدمة:

ذكر القاضي عياض-رحمه الله- في" كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى ص:٥٦" بعضًا من صفات وفضائل النبي ﷺ ثم قال:" إذا كانت خصالُ الكمالِ والجمالِ ما ذكرناه، ووجدنا الواحدَ منا يشرفُ بواحدة منها أو اثنين- إن اتفقت له – في كل عصر، إمَّا من نسب أو جمال، أو قوة أو حلم، أو شجاعة أو سماحة، حتى يعظمَ قدرهُ، ويضرب باسمه الأمثال،..... **ثم قال:**" ما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه هذه الخصال عند ربه، إلى مالا يأخذه عَدٌّ ولا يعبر عنه مقال، ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال؟ من فضيلة النبوة، والرسالة، والخلة، والمحبة، والاصطفاء، والإسراء، والقرب، والدنو، والوحي، والشفاعة، والوسيلة، والفضيلة، والدرجة الرفيعة، والمقام المحمود، والبراق، والمعراج، والبعث إلى الأحمر والأسود، والصلاة بالأنبياء، والشهادة بين الأنبياء والأمم، وسيادة ولد آدم، ولواء الحمد، والبشارة، والنذارة، والمكانة عند ذي العرش، والهداية، ورحمة للعالمين، وإعطاء الرضا، والسؤل، والكوثر، وإتمام النعمة، والعفو عما تقدم وما تأخر، وشرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر، وعزة النصر، ونزول السكينة، والتأييد بالملائكة، وإيتاء الكتاب، والحكمة، والسبع المثاني والقرآن العظيم، وتزكية الأمة، والدعاء إلى الله، وصلاة الله تعالى والملائكة، والحكم بين الناس بما أراه الله، ووضع الإصر والأغلال عنهم، والقسم باسمه، وإجابة دعوته، وتكليم الجمادات والعجم، وإحياء الموتى، وإسماع الصم، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير القليل، وانشقاق القمر، والنصر بالرعب، والاطلاع على الغيب بإذن ربه، وظِل الغمام، وتسبيح الحصا، والعصمة من الناس، إلى ما لا يحويه محتفل، ولا يحيط بعلمه إلا مانحه ذلك، ومفضله به، لا إله غيره، بالإضافة إلى ما أُعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة، ودرجات القدس، ومراتب السعادة، والحسنى، والزيادة التي تقف دونها العقول، ويحار دون إدراكها الوهم ". اهـ باختصار

فالنبي ﷺ أعطاه اللهُ من الفضائل الكثيرة، والمِنَنِ العظيمة، والخصال الحميدة، والتي يصعب حصرها.

وفي هذه الرسالة أذكر جملة من الآداب التي ينبغي أن يتأدب بها كل مسلم ومسلمة مع أفضل الخلق ﷺ. والأدب مع رسول الله ﷺ هو أعلى مراتب الأدب، وأولاها حقا على المسلم بعد الأدب مع الله تعالى، فرسول الله ﷺ أعظم الخَلق حقًّا على الخَلق، والأدب مع الرسول ﷺ هو أدب مع الله تعالى أولًا؛ لأنه أدب مع مرسله تعالى، كما أن طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله، **قال تعالى:** ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (سورة النساء:٨٠). وليس الأدب مع النبي ﷺ مجرد كلمات ومدائح خالية من الاتباع والعمل، بل الأدبُ مع النبي ﷺ لا يكون إلا بمحبةٍ صادقةٍ تستوجبُ اتباعَهُ في كل ما أمر، واجتنابَ كلِّ ما عنه نهى وزجر، واتخاذَه ﷺ قدوة في الظاهر والباطن، في السمت والعمل، في الخلق والمعاملة.

والأدب مع النبي ﷺ من باب: المناصحة للرسول ﷺ:

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:٩١)

وأخرج الإمام مسلم من حديث تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " **الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلنا: لِمَنْ؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ ".**

والنصيحة لرسوله ﷺ: التصديق بنبوته وما جاء به، وأن الله أرسله إلى الأنس والجن جميعًا، ومن النصيحة لرسول الله ﷺ تصديق خبره، مع الإخلاص له، وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه، ومؤازرته ونصرته وحمايته حيًا وميتًا، والاعتصام بسنته وإحياؤها بالطلب، والذب عن شريعته ونشرها، والحض عليها، والدعوة إلى الله وإلى كتابه وإلى رسوله، وإليها وإلى العمل بها، والتخلق بأخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة ". **(الشفا بتعريف حقوق المصطفى:٣٣/٢).**

قال النووي-رحمه الله-: وأما النصيحة لرسول الله ﷺ فتصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حيًا وميتًا، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وبث دعوته ونشر شريعته ونفي التهمة عنها، واستثارة علومها، والتفقه في معانيها والدعاء إليها، والتلطف في تعلمها وتعليمها، وإعظامها وإجلالها، والتأدب عند قراءتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها، والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك ".

(صحيح مسلم بشرح النووى:٣٨/٢)

وقال القاضي عياض-رحمه الله-: " وأما نصيحة المسلمين له بعد وفاته؛ فالتزام التوقير والإجلال، وشدة المحبة له، والمثابرة على تعلم سنته، والتفقه في شريعته، ومحبة آل بيته وأصحابه، ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها، وبغضُه والتحذير منه، والشفقة على أمته، والبحث عن تعرف أخلاقه وسيره وآدابه، والصبر على ذلك ". **(الشفا بتعريف حقوق المصطفى:٣٣/٢).**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: " الرسول ﷺ يباين سائر المؤمنين من أمته في عامة الحقوق فرضًا وخطرًا وغيرهما، مثل وجوب طاعته ووجوب محبته وتقديمه في المحبة على جميع الناس، ووجوب تعزيره وتوقيره على وجه لا يساويه فيه أحد، ووجوب الصلاة عليه والتسليم إلى غير ذلك من الخصائص التي لا تحصى ". اهـ **(الصارم المسلول ص: ٢٣٥).**

الأدب الأول: تقديم محبة النبي صلى الله عليه وسلم فوق محبة الناس أجمعين:

ومحبة النبي ﷺ ليست من باب النافلة، بل هي محبة واجبة على كل مُسلم، وأن يَكونَ الرَّسولُ ﷺ أحَبَّ إليه مِن أهلِه ومالِه والنَّاسِ أجمَعينَ، فلا يُقَدِّم مَحَبَّةَ أحَدٍ مِنَ الخَلقِ على مَحَبَّتِه ﷺ. **قال تعالى:**

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (سورة التوبة: ٢٤)

قال القُرطبيُّ-رحمه الله- في" تفسيره": " في الآيةِ دَليلٌ على وُجوبِ حُبِّ اللَّهِ ورَسولِه، ولا خِلافَ في ذلك بينَ الأمَّةِ، وأنَّ ذلك مُقَدَّمٌ على كُلِّ مَحبوبٍ". **(الجامع لأحكام القرآن:٨/ ٩٥)**.

وقال القاضي عِياضٌ-رحمه الله-: " كفى بهذا حَضًّا وتَنبيهًا ودَلالةً وحُجَّةً على التِزامِ مَحَبَّتِه ووُجوبِ فَرضِها، وعِظَمِ خَطَرِها، واستِحقاقِه لها ﷺ؛ إذ قَرَّعَ اللَّهُ تعالى مَن كان مالُه وأهلُه ووَلَدُه أحَبَّ إليه مِنَ اللهِ ورَسولِه، **وأوعَدَهم بقَولِه تعالى:** ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾، ثُمَّ فَسَّقَهم بتَمامِ الآيةِ، وأعلَمَهم أنَّهم مِمَّن ضَلَّ ولم يَهدِه اللهُ ". اهـ **(الشفا بتعريف حقوق المصطفى:٢/ ١٨)**.

وقال الكرمانيُّ-رحمه الله-: " اعلَمْ أنَّ مَحَبَّةَ الرَّسولِ إرادةُ فِعلِ طاعَتِه، وتَركُ مُخالفتِه، وهي مِن واجِباتِ الإسلامِ ". **(الكواكب الدراري:١/ ٩٨)**

وقال ابنُ قُدامةَ-رحمه الله-: " اعلَمْ أنَّ الأمَّةَ مُجمِعةٌ على أنَّ الحُبَّ للهِ ولرَسولِه فَرضٌ ".

(مختصر منهاج القاصدين ص: ٣٣٨)

وقال ابن قيم-رحمه الله-: " وكل محبة وتعظيم للبشر، فإنما تجوز تبعًا لمحبة الله وتعظيمه، كمحبة رسول الله ﷺ وتعظيمه؛ فإنها من تمام محبة مرسله وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لمحبة الله له، ويعظمونه ويجلونه، لإجلال الله له، فهي محبة من موجبات محبة الله، وكذلك محبة أهل العلم والإيمان، ومحبة الصحابة رضي الله عنهم وإجلالهم تابع لمحبة الله ورسوله ". **(جلاء الأفهام ص:٢٩٧)**

وأخرج البخاري عن أبي هُرَيرةَ ﷺ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: **" فوالذي نَفسي بيَدِه لا يُؤمِنُ أحَدُكُم حتَّى أكونَ أحَبَّ إليه مِن والِدِه، ووَلَدِه ".**

وأخرج البخاري ومسلم عن أَنَسِ بنِ مالِكٍ ﷺ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: **" لا يُؤمِنُ أحَدُكُم حتَّى أكونَ أحَبَّ إليه مِن والِدِه، ووَلَدِه، والنَّاسِ أجمَعينَ ".**

جاء في" فتح الباري": " هذا مِن جَوامِعِ الكَلِمِ الَّذي أوتيَه ﷺ؛ لأنَّه قَد جَمَعَ في هذه الألفاظِ اليسيرةِ مَعانيَ كثيرةً؛ لأنَّ أقسامَ المَحَبَّةِ ثَلاثةٌ: مَحَبَّةُ إجلالٍ وعَظَمةٍ، كمَحَبَّةِ الوالِدِ؛ ومَحَبَّةُ شَفَقةٍ ورَحمةٍ، كمَحَبَّةِ الولَدِ؛ ومَحَبَّةُ استِحسانٍ ومُشاكَلةٍ، كمَحَبَّةِ سائِرِ النَّاسِ؛ فحَصَرَ صُنوفَ المَحَبَّةِ. ومَعنى الحَديثِ -واللهُ أعلَمُ-: أنَّ مَنِ استَكمَلَ الإيمانَ عَلِمَ أنَّ حَقَّ الرَّسولِ وفَضلَه آكَدُ عليه مِن حَقِّ أبيه وابنِه والنَّاسِ أجمَعينَ؛ لأنَّ بالرَّسولِ استَنقَذَ اللَّهُ أمَّتَه مِنَ النَّارِ، وهداهم مِنَ الضَّلالِ ". **(شرح صحيح البخاري لابن بطال:١/ ٦٦)**

وقال ابن حجر-رحمه الله-: " فإذا تأمل النفع الحاصل له من جهة الرسول ﷺ الذي أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان- إما بالمباشرة وإما بالسبب- علم أنه سبب بقاء نفسه البقاء الأبدي في النعيم السرمدي، وعلم أن نفعه بذلك أعظم من جميع وجوه الانتفاعات، فاستحق لذلك أن يكون حظه من محبته أوفر من غيره؛ لأن النفع الذي يثير المحبة حاصل منه أكثر من غيره ".

وقال ابن رجب-رحمه الله-: " فلا يكون المؤمن مؤمنًا حتى يقدم محبة الرسول على محبة جميع الخلق، ومحبة الرسول تابعة لمحبة مرسله، والمحبة الصحيحة تقتضي المتابعة والموافقة في حب المحبوبات وبغض المكروهات ". اهـ

وفي الصحيحين عن أَنَسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: **" قَالَ: ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ".**

ذكر الحافظ ابن حجر في" فتح الباري" عن البيضاوي-رحمه الله- قوله في شرح الحديث السابق:

" وَإِنَّمَا جَعَلَ هَذِهِ الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ عُنْوَانًا لِكَمَالِ الْإِيمَانِ لِأَنَّ الْمَرْءَ إِذَا تَأَمَّلَ أَنَّ الْمُنْعِمَ بِالذَّاتِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَنْ لَا مَانِحَ وَلَا مَانِعَ فِي الْحَقِيقَةِ سِوَاهُ، وَأَنَّ مَا عَدَاهُ وَسَائِطُ، وَأَنَّ الرَّسُولَ هُوَ الَّذِي يُبَيِّنُ لَهُ مُرَادَ رَبِّهِ، اقْتَضَى ذَلِكَ أَنْ يَتَوَجَّهَ بِكُلِّيَّتِهِ نَحْوَهُ: فَلَا يُحِبُّ إِلَّا مَا يُحِبُّ، وَلَا يُحِبُّ مَنْ يُحِبُّ إِلَّا مِنْ أَجْلِهِ. وَأَنْ يَتَيَقَّنَ أَنَّ جُمْلَةَ مَا وَعَدَ وَأَوْعَدَ حَقٌّ يَقِينًا. وَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ الْمَوْعُودُ كَالْوَاقِعِ، فَيَحْسَبُ أَنَّ مَجَالِسَ الذِّكْرِ رِيَاضُ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ الْعَوْدَ إِلَى الْكُفْرِ إِلْقَاءٌ فِي النَّارِ " . اهـ مُلَخَّصًا

فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضى ما يرضي الله ورسوله، ويَسخطُ لما يسخط الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض، ويقدم حبه على هوى نفسه. هذا محك الاختبار، وبرهان الإسلام والإيمان.

قال شيخ الإسلام ابنُ تيميَّة-رحمه الله-: " أخبَرَ أنَّه لا يَجِدُ أحَدٌ حَلاوةَ الإيمانِ إلَّا بهذه المَحَبَّاتِ الثَّلاثِ؛ أحَدُها: أن يَكونَ اللَّهُ ورَسولُه أحَبَّ إليه ممَّن سِواهما، وهذا مِن أصولِ الإيمانِ المَفروضةِ التي لا يَكونُ العَبدُ مُؤمِنًا بدونِها. الثَّاني: أن يُحِبَّ العَبدَ لا يُحِبُّه إلَّا للَّهِ، وهذا مِن لوازِمِ الأوَّلِ. والثَّالثُ: أن يَكونَ إلقاؤُه في النَّارِ أحَبَّ إليه مِنَ الرُّجوعِ إلى الكُفرِ". **(مجموع الفتاوى: ١٠/ ٧٥١).**

وسُئل علي بن أبي طالب ﷺ: **كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ فيقول: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ.**

ولما نعى رسول الله ﷺ نفسه فقال: **إنَّ عبدًا خيَّرَهُ اللَّهُ بينَ أن يُؤْتيَهُ من زَهْرةِ الدُّنيا ما شاءَ وبينَ ما عندَهُ، فاختارَ ما عندَهُ، فقالَ أبو بَكْرٍ: فدَيناكَ يا رسولَ اللَّهِ بآبائنا وأمَّهاتِنا ". (صحيح الترمذي: ٣٦٦٠)**

وذكر ابن هشام في سيرته والطبري في" تاريخه" وابن المنذر في" تفسيره"، والبيهقي في" دلائل النبوة": أن امرأة من الأنصار قُتل أبوها وأخوها وزوجها وابنها يَوْمُ أُحُدٍ فَاسْتُقْبِلَتْ بِأَخَيهَا وَابْنِهَا وَزَوْجِهَا وَأَبِيهَا، فقالت: مَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ؟ قالوا: بحمد الله كما تحبين. قالت: أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فلما رأته قالت: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ[1] ".

علامات حب النبي صلى الله عليه وسلم:

قال النَّوويُّ-رحمه الله-: " قال القاضي عياضٌ: ومِن مَحَبَّتِه ﷺ نُصرةُ سُنَّتِه والذَّبُّ عن شَريعَتِه وتَمَنِّي حُضورِ حياتِه، فيَبذُلُ مالَه ونَفسَه دونَه. قال: وإذا تَبيَّنَ ما ذَكَرناه تَبيَّنَ أنَّ حَقيقةَ الإيمانِ لا يَتِمُّ إلَّا بذلك، ولا يَصِحُّ الإيمانُ إلَّا بتَحقيقِ إعلاءِ قَدرِ النَّبيِّ ﷺ ومَنزِلتِه على كُلِّ والِدٍ وولَدٍ، ومُحسِنٍ ومُفضَّلٍ، ومَن لم يَعتَقِدْ هذا واعتَقَدَ سِواه فليس بمُؤمِنٍ". (شرح مسلم:٢/ ١٦).

ولا تقدم محبة النبي ﷺ فوق محبة الخلق فقط، بل تقدم فوق محبة النفس:

فقد أخرج البخاري عن عَبدِ اللَّهِ بنِ هشامٍ رضي الله عنه قال: " كُنَّا مَعَ النَّبيِّ ﷺ وهو آخِذٌ بيَدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فقال له عُمَرُ: يا رَسولَ اللهِ، لأنت أحَبُّ إليَّ مِن كُلِّ شيءٍ إلَّا مِن نَفسي! فقال النَّبيُّ ﷺ: لا، والذي نَفسي بيَدِه حتَّى أكونَ أحَبَّ إليك مِن نَفسِك! فقال له عُمَرُ: فإنَّه الآنَ واللَّهِ لأنت أحَبُّ إليَّ مِن نَفسي! فقال النَّبيُّ ﷺ: الآنَ يا عُمَرُ".

مِن فضائلِ مَحبَّةِ الرَّسولِ صلى الله عليه وسلم:

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عَبدِ اللَّهِ بنِ مَسعودٍ رضي الله عنه قال: " جاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رَسولَ اللهِ، كيف تَقولُ في رَجُلٍ أحَبَّ قَومًا ولم يَلحَقْ بهم؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: المَرءُ مَعَ مَن أحَبَّ ".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنسٍ رضي الله عنه أنَّ رجلًا سأل النَّبيَّ ﷺ عن السَّاعةِ، فقال: متى السَّاعةُ؟ قال:" وماذا أعدَدتَ لها؟ قال: لا شيءَ إلَّا أنِّي أحِبُّ اللهَ ورسولَه ﷺ! فقال: أنت مع من أحبَبْتَ! قال أنسٌ: فما فَرِحْنا بشيءٍ فَرَحَنا بقولِ النَّبيِّ ﷺ: أنت مع مَن أحبَبْتَ. قال أنسٌ: فأنا أحِبُّ النَّبيَّ ﷺ وأبا بكرٍ وعُمَرَ، وأرجو أن أكونَ معهم بحُبِّي إيَّاهم، وإن لم أعمَلْ بمِثلِ أعمالِهم ".

قال النَّوويُّ-رحمه الله-: " فيه فَضلُ حُبِّ اللهِ ورَسولِه ﷺ، والصَّالحين وأهلِ الخيرِ الأحياءِ والأمواتِ، ومِن فَضلِ مَحَبَّةِ اللهِ ورَسولِه امتِثالُ أمرِهما واجتِنابُ نَهيِهما والتَّأدُّبُ بالآدابِ الشَّرعيَّةِ ".

(شرح مسلم:١٦/ ١٨٦).

١- جلل: هين يسير، والجلل من الأضداد، يكون للحقير والعظيم. (النهاية في غريب الحديث:١٠/٢٨٩). وإن كان هذا الحديث مرسلًا، فإن أهل العلم يتساهلون في أمر الأسانيد في أبواب السير والمغازي والتواريخ ما لا يتساهلون في غيرها، فتذكر المراسيل ونحوها في هذه الأبواب للاعتبار، لا سيما إذا اشتهرت عند أهل السير والمغازي وتواردوا على ذكرها في كتبهم.

مَحَبَّةُ النبي صلى الله عليه وسلم على دَرَجَتَين:

قال ابنُ رَجَبٍ الحَنبَليّ-رحمه الله-: " مَحَبَّةُ الرَّسولِ ﷺ على دَرَجَتين: **إحداهما**: فَرضٌ، وهي المَحَبَّةُ التي تَقتضي قَبولَ ما جاءَ به الرَّسولُ ﷺ مِن عِندِ اللهِ، وتَلَقِّيه بالمَحَبَّةِ والرِّضا والتَّعظيمِ والتَّسليمِ، وعَدَمَ طَلَبِ الهدى مِن غيرِ طَرِيقِه بالكُلِّيَّةِ، ثُمَّ حُسنَ الاتِّباعِ له فيما بَلَّغَه عن رَبِّه؛ مِن تَصديقِه في كُلِّ ما أخبَرَ به، وطاعَتِه فيما أمَرَ به مِنَ الواجِباتِ، والانتِهاءِ عَمَّا نهى عنه مِنَ المُحَرَّماتِ، ونُصرةِ دينِه والجِهادِ لِمَن خالَفَه بحَسَبِ القُدرةِ. فهذا القَدرُ لا بُدَّ مِنه، ولا يَتِمُّ الإيمانُ بدونِه. **والدَّرَجةُ الثَّانيةُ**: فَضلٌ، وهي المَحَبَّةُ التي تَقتَضي حُسنَ التَّأسّي به، وتَحقيقَ الاقتِداءِ بسُنَّتِه في أخلاقِه وآدابِه ونَوافِلِه وتطَوُّعاتِه، وأكلِه وشُربِه ولِباسِه، وحُسنِ مُعاشَرَتِه لأزواجِه، وغيرِ ذلك مِن آدابِه الكامِلةِ وأخلاقِه الطَّاهِرةِ، والاعتِناءَ بمَعرِفةِ سيرَتِه وأيَّامِه، واهتِزازَ القَلبِ عِندَ ذِكرِه، وكثرةَ الصَّلاةِ عليه؛ لِما سَكَنَ في القَلبِ مِن مَحَبَّتِه وتَوقيرِه، ومَحَبَّةَ استِماعِ كلامِه، وإيثارَه على كلامِ غيرِه مِنَ المَخلوقينَ. ومِن أعظَمِ ذلك الاقتِداءُ به في زُهدِه في الدُّنيا والاجتِزاءِ باليسيرِ مِنها ورَغبَتِه في الآخِرةِ. **قال سَهلٌ التُّستَرِيُّ**: مِن عَلاماتِ حُبِّ اللهِ: حُبُّ القُرآنِ، وعَلامةُ حُبِّ اللهِ وحُبِّ القُرآنِ حُبُّ النَّبيِّ ﷺ، وعَلامةُ حُبِّ النَّبيِّ ﷺ حُبُّ السُّنَّةِ، وعَلامةُ حُبِّ السُّنَّةِ حُبُّ الآخِرةِ، ومِن عَلامةِ حُبِّ الآخِرةِ بُغضُ الدُّنيا، وعَلامةُ بُغضِ الدُّنيا ألَّا يَأخُذَ مِنها إلَّا زادًا يُبَلِّغُه إلى الآخِرةِ ".

(مجموع رسائل ابن رجب:٣/ ٣٢٤).

صُوَرٌ مِن مَحَبَّةِ الصَّحابةِ للرَّسولِ صلى الله عليه وسلم:

أخرج أبو يعلى عن أنَسٍ ﷺ في قِصَّةِ إسلامِ أبي قُحافةَ، قال: **" فلمَّا مَدَّ يَدَه يُبايِعُه بَكى أبو بَكرٍ، فقال النَّبيُّ ﷺ:" ما يُبكيك؟"، قال: لأن تَكونَ يَدُ عَمِّك مَكانَ يَدِه ويُسلِمَ ويُقِرَّ اللهُ عَينَك أحَبُّ إليَّ مِن أن يَكونَ ".** (صَحَّحَ إسنادَه ابنُ حَجَرٍ في" الإصابة:٤/ ١١٦).

وأخرج البخاري ومسلم عن أَنَسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: **" لمَّا كان يَومُ أُحُدٍ انهَزَمَ ناسٌ مِنَ النَّاسِ عنِ النَّبيِّ ﷺ، وأبو طَلحةَ بَينَ يَدَي النَّبيِّ ﷺ مُجوِّبٌ عليه بحَجَفةٍ[١]، قال: وكان أبو طَلحة رَجُلًا راميًا شَديدَ النَّزعِ[٢]، وكَسَرَ يَومئِذٍ قَوسَينِ أو ثَلاثًا، قال: فكان الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَه الجَعبةُ[٣] مِنَ النَّبلِ، فيَقولُ: انثُرْها لأبي طَلحةَ، قال: ويُشرِفُ[٤] نَبيُّ اللهِ ﷺ يَنظُرُ إلى القَومِ، فيَقولُ أبو طَلحةَ: يا نَبيَّ اللهِ، بأبي أنتَ وأُمِّي، لا تُشْرِفْ لا يُصِبْك سَهمٌ مِن سِهامِ القَومِ، نَحري دونَ نَحرِك[٥]". وكان أبو طَلْحةَ ﷺ يَجْثو بيْن يدَي النبي ﷺ ويقولُ: وَجْهي لوَجْهِك الوِقاءُ، ونفْسي لنفْسِك الفِداءُ ".**

(أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك ﷺ وصححه شعيب الأرناؤوط)

١- الحَجَفةُ: تُرسٌ صَغيرٌ، ومُجَوِّبٌ عَليه بحَجَفتِه، أي: مُتَرِّسٌ عليه بها يَقيه الرَّميَ. (الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة:٥/ ٢٢٧)
٢- النَّزعُ: مَدُّ القَوسِ، وشِدَّتُه: كِنايةٌ عنِ استيفاءِ السَّهمِ جَميعِه في جَذبِه. (جامع الأصول لابن الأثير:٨/ ٢٤١).
٣- الجَعبةُ: التي تَكونُ فيها السِّهامُ، تُتَّخَذُ مِنَ الجُلودِ. (جامع الأصول لابن الأثير:٨/ ٢٤١).
٤- الإشراف: الاطلاع على الشيء. (جامع الأصول لابن الأثير:٨/ ٢٤١).
٥- نَحري دونَ نَحرِك: قال الإمام العيني-رحمه الله-:" أي هذا نحري قدام نحرك؛ يعني أقف بين يديك، بحيث إن السهم إذا جاء يصيب نحري ولا يصيب نحرك".

وفي نفس الغزوة –غزوة أُحد– عندما دارت الدائرة على المسلمين واشتد القتال، وتفرق الناس عن النبي ﷺ، ثبت مع النبي ﷺ قلة من الصحابة منهم أبو دجانة ﷺ. وقد انحنى أبو دجانة ﷺ فوق النبي ﷺ، واتخذ من ظهره "تُرسًا"– أي درعًا– يحمي به النبي ﷺ من سهام المشركين التي كانت تتساقط كالمطر، وتلقى النبل في ظهره وهو لا يتحرك، حتى وصفه بعض الرواة بأنه صار "كالقنفذ" من كثرة السهام التي أصابته، ومع ذلك، لم يبرح مكانه حمايةً للنبي ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر–رحمه الله–: " وذكر الواقدي في المغازي أنه ثبت يوم أحد من المهاجرين سبعة: قال ابن هشام:" ومنهم أبو دجانة، فقد ترّس بنفسه على رسول الله ﷺ فحنى ظهره عليه، والنبل يقع فيه حتى كثرت به الجراح ".

وأخرج النسائي عن جابر ﷺ قال: **لمَّا كانَ يومُ أُحُدٍ وولَّى الناسُ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ في ناحيةٍ في اثنَي عشرَ رجلًا من الأنصارِ، وفيهِم طلحةُ بنُ عبيدِ اللهِ، فأدركَهم المشركونَ، فالتفتَ رسولُ اللهِ ﷺ وقالَ: مَن للقومِ؟ فقالَ طلحةُ: أنَا. قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: كما أنتَ. فقالَ رجلٌ مِن الأنصارِ: أنَا يا رسولَ اللهِ، فقالَ: أنتَ، فقاتلَ حتى قُتلَ، ثمَّ التفتَ فإذا المشركونَ، فقالَ: مَن للقومِ؟ فقالَ طلحةُ: أنَا، قالَ: كما أنتَ، فقال رجلٌ مِن الأنصارِ: أنَا، فقال: أنتَ، فقاتلَ حتَّى قُتلَ، ثمَّ لمْ يزلْ يقولُ ذلكَ ويخرجُ إليهِم رجلٌ مِن الأنصارِ، فيُقاتِلُ قتالَ مَن قَبلَه حتَّى يُقتَلَ، حتَّى بَقِيَ رسولُ اللهِ ﷺ وطلحةُ بنُ عبيدِ اللهِ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: مَن للقومِ؟ فقالَ طلحةُ: أنَا، فقاتلَ طلحةُ قِتالَ الأحدَ عشَرَ حتَّى ضُرِبَت يدُه فقُطعَت أصابعُه فقال: حَسِّ[1]، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ لو قلتَ بسمِ اللهِ لطارَت بكَ الملائكةُ والناسُ ينظرونَ إليكَ، ثمَّ ردَّ اللهُ المشركينَ ".** (صححه الألباني في السلسلة الصحيحة)

وجاء في فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل عن أَبِي بَكْرِ بْنِ حَفْصٍ قال: **إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ظَاهَرَ يَوْمَ أُحُدٍ بَيْنَ دِرْعَيْنِ قَالَ: فَلَمَّا صَعِدَ فِي الْجَبَلِ انْتَهَى إِلَى صَخْرَةٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ إِنْ يَصْعَدَهَا. قَالَ: فَجَاءَ طَلْحَةُ فَبَرَكَ لَهُ، فَصَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ظَهْرِهِ قَالَ: وَجَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ إِنْ يَضْرِبَهُ بِالسَّيْفِ قَالَ: فَوَقَاهُ طَلْحَةُ بِيَدِهِ فَشُلَّتْ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" أَوْجَبَ طَلْحَةُ ".**

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان **أن مُعاذَ بنَ جَبَلٍ ﷺ لمَّا بَعَثَه رَسولُ اللهِ ﷺ إلى اليَمَنِ خَرَجَ مَعَه رَسولُ اللهِ ﷺ يوصيه، ومُعاذٌ راكِبٌ ورَسولُ اللهِ ﷺ يَمشي تَحتَ راحِلتِه، فلمَّا فرَغَ قال: يا مُعاذُ، إنَّك عَسى ألَّا تَلقاني بَعدَ عامي هذا، ولعَلَّك أن تَمُرَّ بمَسجِدي هذا وقَبري! فبَكى مُعاذٌ جَشَعًا[2] لفِراقِ رَسولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ التَفتَ فأقبَلَ بوَجهِه نَحوَ المَدينةِ، فقال: إنَّ أَولى النَّاسِ بي المُتَّقونَ مَن كانوا وحَيثُ كانوا ".**

(صحيح الجامع:٢٠١٢)

١ـ حَسِّ: وهي كلمةٌ تُقالُ عندَ الألَمِ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ لطلحةَ ﷺ عندما قال: حَسِّ، "لو قُلتَ" بدَلَ هذه الكلمةِ: "بسمِ اللهِ"، أي: أستعينُ باللهِ تعالى، وذكَرْتَ اسمَ اللهِ، "لرفَعَتْك الملائكةُ"، أي: في السَّماءِ، "والنَّاسُ ينظُرون" إليك حتَّى تَلِجَ بك في جوِّ السَّماءِ!

٢ـ جَشَعًا: أي: جَزَعًا لفِراقِه.

ومن صور محبة الصحابة-رضي الله عنهم- للنبي ﷺ تظهر عندما طلب النبي ﷺ من علي بن أبي طالب ﷺ النوم في فراشه ليلة الهجرة للتمويه على المشركين وإيهامهم بوجوده داخل البيت، مما أتاح للرسول ﷺ الخروج بأمان، بالإضافة إلى تكليفه بأداء الأمانات والودائع التي كانت عند النبي ﷺ لأهل مكة. أظهر هذا الموقف فداءً وشجاعة فائقة من علي حيث نام علي بن أبي طالب ﷺ وهو عالم بأن قريشًا قد تقتله، لكنه لم يهب الموت فداءً لرسول الله ﷺ.

ومن صور محبة الصحابة-رضي الله عنهم- للنبي ﷺ بكاء أبي بكر ﷺ فرحًا عندما علم أنه سيصاحب النبي ﷺ في الهجرة، تقول عائِشةُ-رَضِيَ اللهُ عنها-:" كان لا يُخطِئُ رَسولُ اللهِ ﷺ أن يَأتيَ بَيتَ أبي بَكرٍ أحَدَ طَرَفَيِ النَّهارِ، إمَّا بُكرةً وإمَّا عَشيَّةً، حتَّى إذا كان اليَومُ الذي أُذِنَ فيه لرَسولِ اللهِ ﷺ في الهجرةِ، والخُروجِ مِن مَكَّةَ مِن بَينِ ظَهرَيِ قَومِه، أتانا رَسولُ اللهِ ﷺ بالهاجِرةِ[1] في ساعةٍ كان لا يَأتي فيها. قالت: فلمَّا رَآه أبو بَكرٍ قال: ما جاءَ رَسولُ اللهِ ﷺ هذه السَّاعةَ إلَّا لأمرٍ حَدَث. قالت: فلمَّا دَخَل تَأخَّرَ له أبو بَكرٍ عن سَريرِه، فجَلسَ رَسولُ اللهِ ﷺ، وليسَ عِندَ أبي بَكرٍ إلَّا أنا وأُختي أسماءُ بنتُ أبي بَكرٍ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ:" أخرِجْ عنِّي مَن عِندَك، فقال: يا رَسولَ اللهِ، إنَّما هما ابنَتايَ! وما ذاكَ فِداك أبي وأُمِّي؟! فقال: إنَّ اللَّهَ قد أذِنَ لي في الخُروجِ والهجرةِ. قالت: فقال أبو بَكرٍ: الصُّحبةَ يا رَسولَ اللهِ، قال: الصُّحبة. قالت عائِشةَ -رَضِيَ اللهُ عنها-: فواللَّهِ ما شَعَرتُ قَطُّ قَبلَ ذلك اليَومِ أنَّ أحَدًا يَبكي مِنَ الفرَحِ، حتَّى رَأيتُ أبا بَكرٍ يَبكي يَومَئِذٍ ".

(أخرجه ابن هشام بسند صحيح في" السيرة:١/ ٤٨٤ وأخرجه البخاريُّ مَعَ شَيءٍ مِنَ الاختِصارِ).

وعندما خرج النبي ﷺ مع أبي بكر إلى غار ثور، وكان أبو بكر يمشي مع رسول الله ﷺ تارة أمامه، وتارة خلفه، حتى فطن له رسول الله ﷺ فسأله عن ذلك، فقال: يا رسول الله! اذكر الطلب[2] فامشي خلفك، ثم اذكر الرصد[3] فامشي بين يديك، فقال له النبي ﷺ:" يا أبا بكر! لو كان شيء أحببت أن يكون لك دوني؟ فقال أبو بكر: نعم والذي بعثك بالحق، وهكذا يمضي الصديق في طريقه مع رسول الله ﷺ حتى إذا ما وصلا الغار يطلب أبو بكر من رسول الله ﷺ أن يتأنى حتى يسبقه إلى الغار ليستبرئه، مخافة أن يكون فيه شيء يؤذي رسول الله ﷺ. **(انظر البداية والنهاية لابن كثير) (فضائل الصحابة للإمام أحمد)**

وأخرج الترمذي وأحمد عن أنَسٍ ﷺ قال:" ما كان شَخصٌ أحَبَّ إليهم مِن رَسولِ اللهِ ﷺ ، وكانوا إذا رَأوه لم يَقوموا؛ لِما يَعلمونَ مِن كَراهيَتِه لذلك ". **(صححه شعيب الأرناؤوط في تخريج مسند أحمد)**

١- الهاجِرةُ: انتِصافُ النَّهارِ وشِدَّةُ الحَرِّ. قيل: والهاجِرةُ والهَجيرُ مِنَ الهَجرِ؛ لأنَّها ساعةٌ يُهجَرُ فيها السَّيرُ، أو لأنَّها تَهجُرُ النَّاسَ على المَجازِ. (المفردات للراغب ص: ٨٣٤)، (جامع الأصول لابن الأثير:٢/ ٥٢)

٢- الطالب: المطاردين.

٣- الرصد: الكمين.

ومن صور محبة الصحابة-رضي الله عنهم- للنبي ﷺ ***ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي بَكرٍ ﷺ قال عن يوم الهجرة:*** " أسرَينا ليلتَنا ومِنَ الغَدِ حتَّى قامَ قائِمُ الظَّهيرةِ [١] وخَلا الطَّريقُ لا يَمُرُّ فيه أحَدٌ، فرُفِعَت لنا صَخرةٌ طَويلةٌ لها ظِلٌّ، لم تَأتِ عليه الشَّمسُ، فنَزَلنا عِندَه، وسَوَّيتُ للنَّبيِّ ﷺ مَكانًا بيَدي يَنامُ عليه، وبَسَطتُ فيه فَروةً، وقُلتُ: نَمْ يا رَسولَ اللهِ، وأنا أنفُضُ لك ما حَولَك [٢]، فنامَ وخَرَجتُ أنفُضُ ما حَولَه، فإذا أنا براعٍ مُقبلٍ بغَنَمِه إلى الصَّخرةِ، يُريدُ مِنها مِثلَ الذي أرَدنا، فقُلتُ له: لمَن أنتَ يا غُلامُ، فقال: لرَجُلٍ مِن أهلِ المَدينةِ [٣] أو مَكَّةَ، قُلتُ: أفي غَنَمِك لبَنٌ؟ قال: نَعَم، قُلتُ: أفتُحلَبُ، قال: نَعَم، فأخَذَ شاةً، فقُلتُ: انفُضِ الضَّرعَ [٤] مِنَ التُّرابِ والشَّعرِ والقَذى، قال: فرَأيتُ البَراءَ يَضرِبُ إحدى يَدَيه على الأُخرى يَنفُضُ، فحَلَبَ في قَعبٍ [٥] كُثبةً [٦] مِن لبَنٍ، ومَعي إداوةٌ [٧] حَمَلتُها للنَّبيِّ ﷺ يَرتَوي [٨] مِنها، يَشرَبُ ويَتَوضَّأُ، فأتَيتُ النَّبيَّ ﷺ فكَرِهتُ أن أوقِظَه، فوافقتُه حينَ استَيقَظَ، فصَبَبتُ مِنَ الماءِ على اللَّبَنِ حتَّى بَرَدَ أسفَلُه [٩]، فقُلتُ: اشرَبْ يا رَسولَ اللهِ، قال: فشَرِبَ حتَّى رَضيتُ، ثُمَّ قال: ألم يَأنِ للرَّحيلِ؟ قُلتُ: بَلى، قال: فارتَحَلنا بَعدَما مالتِ الشَّمسُ... ". الحَديث.

وانظر إلى قول أبي بكر ﷺ:" فشَرِبَ حتَّى رَضيتُ: أي: طابَت نَفسي لكَثرةِ ما شَرِبَ.

(إرشاد الساري للقسطلاني:٦/ ٦٣)

- ***وفي روايةٍ قال:*** " فارتَحَلنا، والقَومُ يَطلُبونا، فلم يُدرِكْنا أحَدٌ مِنهم إلَّا سُراقةُ بنُ مالكِ بنِ جُعشُمٍ على فَرَسٍ له، فقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، هذا الطَّلَبُ قد لحِقَنا. فقال: لا تَحزَنْ إنَّ اللَّهَ مَعنا، حتَّى إذا دَنا مِنَّا فكان بَينَنا وبَينَه قَدرُ رُمحٍ أو رُمحَينِ أو ثَلاثةٍ، قال: قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، هذا الطَّلَبُ قد لحِقَنا. وبَكَيتُ، قال: لمَ تَبكي؟ قال: قُلتُ: أما واللَّهِ ما على نَفسي أبكي، ولكِن أبكي عليك. قال: فدَعا عليه رَسولُ اللهِ ﷺ، فقال: اللهُمَّ اكفِناه بما شِئتَ...". **(أخرجه الإمام أحمد)**.

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: " كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إلى الإسْلَامِ وَهي مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا، فأسْمعتْنِي في رَسُولِ اللهِ ﷺ ما أَكْرَهُ، فأتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، قُلتُ: يا رَسُولَ اللهِ، إنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إلى الإسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا اليومَ فأسْمعتْنِي فِيكَ ما أَكْرَهُ...". الحديث

فانظر إلى هذا المحب وكيف أنه بكى لمَّا سمع سب الرسول ﷺ.

١- الظَّهيرةُ: شِدَّةُ الحَرِّ، وأشَدُّ الحَرِّ وسَطَ النَّهارِ، وقائِمُها: وَقتُ استِواءِ الشَّمسِ في وسَطِ السَّماءِ، قيل: سُمِّي قائِمًا لأنَّ الظِّلَّ لا يَظهَرُ حينَئِذٍ فكَأنَّه واقِفٌ. (جامع الأصول لابن الأثير:١١/ ٥٩٩) (إرشاد الساري للقسطلاني:٦/ ٦٢).

٢- وأنا أنفُضُ لك ما حَولَك: أي: مِنَ الغُبارِ ونَحوِه حتَّى لا يُثيرَه الرِّيحُ، أو أحرُسُك وأطوفُ هَل أرى طَلَبًا، يُقالُ: نَفضتُ المَكانَ واستَنفضتُه وتنفَّضتُه: إذا نَظَرتَ جَميعَ ما فيه. (إرشاد الساري للقسطلاني:٦/ ٦٢).

٣- أطلَقَ المَدينةَ عَليها للصِّفةِ لا للعَلَميَّةِ، فليستِ المَدينةُ النَّبويَّةُ مُرادةً هنا. (إرشاد الساري للقسطلاني:٦/ ٦٢).

٤- الضَّرعُ: أي: ثَديُ الشَّاةِ. (إرشاد الساري للقسطلاني:٦/ ٦٣).

٥- القَعبُ: قَدحٌ مِن خَشَبٍ مُقَعَّر. (إرشاد الساري للقسطلاني:٦/ ٦٣).

٦- الكُثبةُ: القَليلُ مِنَ اللَّبَنِ. (جامع الأصول لابن الأثير:١١/ ٥٩٩).

٧- إداوةٌ: إناءٌ مِن جِلدٍ فيها ماءٌ. (إرشاد الساري للقسطلاني:٦/ ٦٣).

٨- يَرتَوي: يَستَقي، فهو حَملُها للوُضوءِ والشُّربِ. (جامع الأصول لابن الأثير:١١/ ٥٩٩) (إرشاد الساري للقسطلاني:٦/ ٦٣).

٩- وفي رِوايةٍ:" فصَبَبتُ على القَدحِ حتَّى بَرَد أسفَلُه، ثُمَّ أتَيتُ رَسولَ اللهِ ﷺ فوافيتُه وقدِ استَيقَظَ، فقُلتُ: اشرَبْ يا رَسولَ اللهِ، فشَرِبَ حتَّى رَضيتُ...".

ومن صور محبة الصحابة-رضي الله عنهم- للنبي ﷺ *ما أخرجه البخاري عن عَمرِو بنِ مَيمونٍ في الحَديثِ الطَّويلِ في قِصَّةِ مَقتَلِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، أنَّ عُمَرَ ﷺ قال لابنِه عَبدِ اللَّهِ:* " انطَلِقْ إلى عائِشةَ أُمِّ المُؤمِنينَ، فقُلْ: يَقرَأُ عليك عُمَرُ السَّلامَ، ولا تَقُلْ أميرَ المُؤمِنينَ؛ فإنِّي لستُ اليومَ للمُؤمِنينَ أميرًا، وقُلْ: يَستَأذِنُ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ أن يُدفَنَ مَعَ صاحِبَيه، فسَلَّمَ واستَأذَنَ، ثُمَّ دَخَل عليها، فوجَدَها قاعِدةً تَبكي، فقال: يَقرَأُ عليكِ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ السَّلامَ، ويَستَأذِنُ أن يُدفَنَ مَعَ صاحِبَيه، فقالت: كُنتُ أُريدُه لنَفسي، ولأوثِرَنَّ به اليَومَ على نَفسي، فلمَّا أقبَل قيل: هذا عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ قد جاءَ، قال: ارفعوني، فأسنَدَه رَجُلٌ إليه، فقال: ما لدَيك؟ قال: الذي تُحِبُّ يا أميرَ المُؤمِنينَ، أذِنَت، قال: الحَمدُ للهِ، ما كان مِن شَيءٍ أهَمَّ إليَّ مِن ذلك ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي قتادة الحارث بن ربعي ﷺ قال: " خَطَبَنا رَسولُ اللهِ ﷺ، فقال:" إنَّكُم تَسيرونَ عَشِيَّتَكُم ولَيلَتَكُم، وتَأتونَ الماءَ إن شاءَ اللهُ غَدًا، فانطَلَقَ النَّاسُ لا يَلوي أحَدٌ على أحَدٍ[1]، قال أبو قَتادةَ: فبينَما رَسولُ اللهِ ﷺ يَسيرُ حتَّى ابهارَّ اللَّيلُ[2]، وأنا إلى جَنبِه، قال: فنَعَسَ رَسولُ اللهِ ﷺ، فمالَ عن راحِلَتِه، فأتَيتُه فدَعَمتُه[3] مِن غيرِ أن أوقِظَه حتَّى اعتَدَلَ على راحِلَتِه، قال: ثُمَّ سارَ حتَّى تَهَوَّرَ اللَّيلُ[4]، مالَ عن راحِلَتِه، قال: فدَعَمتُه مِن غيرِ أن أوقِظَه حتَّى اعتَدَلَ على راحِلَتِه، قال: ثُمَّ سارَ حتَّى إذا كان مِن آخِرِ السَّحَرِ، مالَ مَيلةً هي أشَدُّ مِنَ المَيلَتَينِ الأولَيَينِ، حتَّى كادَ يَنجَفِلُ[5]، فأتَيتُه فدَعَمتُه، فرَفَعَ رَأسَه، فقال: مَن هذا؟ قُلتُ: أبو قَتادةَ، قال: مَتى كان هذا مَسيرَكَ مِنِّي؟ قُلتُ: ما زالَ هذا مَسيري مُنذُ اللَّيلةِ، قال: حَفِظَكَ اللهُ بما حَفِظتَ به نَبيَّه...".

سبحان الله! كم كان أبو قتادة ﷺ حريصًا على سلامة وراحة النبي ﷺ في آن واحد، حيث سار معه ليلته يراقبه سعيًا لحفظه، وكلما مال ﷺ عن راحلته بسبب غلبة النعاس كان يسير تحته كالدعامة، لكنه مع هذا لم يجعله يستيقظ حرصًا منه على راحته فرضي الله عنه وأرضاه.

ومن صور محبة الصحابة-رضي الله عنهم- للنبي ﷺ ما ذكره ابْنُ إِسْحَاقَ وَابْنُ سَعْدٍ قالا: لما أَخْرَجَ أهل مكة زَيْد بْنَ الدَّثِنَةِ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوه، فَقَالَ له أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ:" أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا زَيْدُ أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا الْآنَ فِي مَكَانِكَ نَضْرِبُ عُنُقَهُ وَأَنَّكَ فِي أَهْلِكَ؟" قَالَ:" وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنِّي جَالِسٌ فِي أَهْلِي". فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ:" مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا ".

---

١ - لا يَلْوي أحدٌ على أحدٍ: أي لا يَلتفِتُ إليه ولا يَعطِفُ عليه، بل يَمْشي كلُّ واحدٍ على حِدَتِه مِن غيرِ أنْ يُراعيَ الصُّحبةَ؛ لاهْتمامِه بطَلَبِ الماءِ ووُصولِه إليه.
٢ - ابْهَارَّ اللَّيلُ: أي: انتصَفَ وتوسَّطَ وتَراكَمَتْ ظُلمتُه، أو ذهبَتْ عامَّتُه، أو بَقيَ نحوُ ثُلُثِه.
٣ - فدَعَمتُه: أي أقمت ميله من النوم وصرت تحته كالدعامة للبناء فوقها.
٤ - تَهوَّرَ اللَّيلُ: أي ذهَبَ أكثَرُه، مأخوذٌ من تهور البناء وهو انهدامه.
٥ - يَنجفِلُ: أي: يَنقلِبُ ويقَعُ.

وحدثت نفس الواقعة مع خبيب بن عدي ﷺ فقد ذكر عروة بن الزبير في" مغازيه": أن المشركين حينما رفعوا خبيب بن عدي على الخشبة ليصلبوه نادوه وناشدوه: أتحب أن محمدًا مكانك وأنت في بيتك؟ فقال: لا والله، ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه، فضحكوا منه.

وفي رواية قال لهم:" والله ما أحب أني بين أهلي ومحمد ﷺ في المكان الذي هو فيه تشوكه شوكة.

فقال بعضهم:

أسرتْ قـريشٌ مسلمًا في غـزوة ... فغدا بلا وجل إلى السيَّافِ

سألــوه هـل يرضيك أنك سالـمٌ ... ولك النبيُّ فدا من الإتلافِ

فأجاب كلا لا سلمتُ من الرَّدى ... ويصابُ أنفُ محمدٍ برُعافِ

وَذَكَرَ ابْنُ عُقْبَةَ أَنَّ زَيْدًا وَخُبَيْبًا قُتِلَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ يَوْمَ قُتِلَا وَهُوَ يَقُولُ:" وَعَلَيْكُمَا السَّلَامُ".

الأدب الثاني: أن لا يُذكَر النبي صلى الله عليه وسلم أو يُنادى باسمه المُجرَّد :

فمن الجفاء في حقِّه ﷺ أن يُذكَر أو يُنادى باسمه المُجرَّد؛ فلا بد أن يُوصف النبي ﷺ بالنبوة والرسالة، وهو سلوك تأدَّب به أصحابه الكرام رضي الله عنهم، واللهُ تعالى لم يُخاطبه باسمه المجرَّد في القرآن الكريم بخلاف سائر الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام–.

فقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة:٣٥). وقال تعالى: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ (هود:٤٦)

وقال تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ (هود:٧٦). وقال تعالى: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ (سورة مريم:١٢)

وقال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ (سورة ص:٢٦). وقال تعالى: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ (سورة المائدة:١١٠). وقال تعالى: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾ (سورة الأعراف:١٤٤)

وقال تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (مريم:٧)

وقال تعالى: ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ (سورة هود:٨١)

والله سبحانه وتعالى أكرمه في مخاطبته فلم يناد باسمه في القرآن بل قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (سورة الأحزاب:٢٨). وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ (سورة المائدة:٦٧).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة المزمل:١،٢). وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (المدثر:١).

وعندما ذكره باسمه في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ قال تعالى بعدها: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (سورة الأحزاب: ٤٠).

والله تعالى نهى المؤمنين أن يُخاطبوه ﷺ بما لا يليق به وبمقامه العظيم ﷺ، **فقال عز وجل:** ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ (سورة النور: ٦٣).

قال القاضي عياض-رحمه الله-: " فأوجب تعالى تعزيره وتوقيره، وألزم إكرامه وتعظيمه ".

(الشفا بتعريف حقوق المصطفى:٢/٣٥)

وذكر الضحاك عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم الله عز وجل، عن ذلك، إعظامًا لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه، قال: فقالوا: يا رسول الله، يا نبي الله. وهكذا قال مجاهد، وسعيد بن جُبَير.

وقال مجاهد-رحمه الله-: " أَمَرَهُمْ أَنْ يَدْعُوه: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فِي لِينٍ وَتَوَاضُعٍ، وَلاَ يَقُولُوا: يَا مُحَمَّدُ! فِي تَجَهُّمٍ ".

وقال قتادة-رحمه الله-: " أَمَرَهُمْ أَنْ يُفَخِّمُوهُ وَيُشَرِّفُوهُ ". **(تفسير الطبري:١٧/ ٣٨٩)**.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: " خصَّ الله نبيَّه ﷺ في هذه الآية بالمخاطبة بما يليق به، فنهى أن يقولوا: يا محمد! أو يا أحمد! أو يا أبا القاسم! ولكن يقولوا: يا رسول الله! يا نبي الله! وكيف لا يخاطبونه بذلك، والله سبحانه وتعالى أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يُكرم به أحدًا من الأنبياء، فلم يدعه باسمه في القرآن قط ". اهـ بتصرف **(الصارم المسلول ص: ٤٢٥)**.

وقال ابن القيم-رحمه الله-: " ومن الأدب معه: ألا يُجعل دعاؤه كدعاء غيره قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ (النور:٦٣) وفيه قولان للمفسرين: **أحدهما:** أنكم لا تدعونه باسمه كما يدعو بعضكم بعضًا، بل قولوا: يا رسول الله! يا نبي الله! فعلى هذا: المصدر مضافٌ إلى المفعول، أي: دعاءكم الرسول. **الثاني:** أن المعنى لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضًا؛ إن شاء أجاب، وإن شاء ترك، بل إذا دعاكم لم يكن لكم بُدٌّ من أجابته، ولم يسعْكم التَّخلُّف عنها ألبتَّة، فعلى هذا: المصدر مضافٌ إلى الفاعل، أي: دعاؤه إياكم ". **(مدارج السالكين:٢/ ٣٨٩)**.

تنبيه: ومما لا يليق مع النبي ﷺ اختصار الصلاة والسلام عليه عند الكتابة فيرمز بحرف (ص)، أو (صلعم) أو (صلم)، وهذا فيه سوء أدب مع النبي ﷺ. ولا شك أن هذا تعطيل لسنة الصلاة والسلام على النبي ﷺ، وحرمان الأجر القارئ أو السامع، والعاقل من تطلع إلى معالي الأمور ومضاعفة الأجور وتأدب معه نبيه بما لا يشينه.

وقد نقل ابن كثير في" الباعث الحثيث" عن ابن الصلاح قوله: " وليكتب الصلاة والتسليم مجلّسة يعني تامة من غير نقص لا رمزًا، قال: ولا يقتصر على قوله: (عليه السلام)، يعني: وليكتب صلى اللهُ عليه وسلم واضحةً كاملة ". **(الباعث الحثيث، ابن كثير:١٦٥)**.

وقال ابن الصلاح أيضًا: " ينبغي للمسلم أن يحافظ على كتابة الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ عند ذكره، ولا يسأم من تكرير ذلك عند تكراره، فإن ذلك من أكبر الفوائد التي يتعجلها طلبة الحديث وكتبته، ومن أغفل ذلك حرم حظًا عظيمًا". **(علوم الحديث:١٦٦)**.

ومن صور التكريم والأدب مع اسم النبي ﷺ *ما رواه النسائي في" السنن الكبرى" عن علي ﷺ قَالَ:*

" إِنِّي كُنْتُ كَاتِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، فَكَتَبَ: هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله، وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو. فَقَالَ سُهَيْلٌ: لَوْ عَلِمْنَا أَنَّهُ رَسُولُ الله مَا قَاتَلْنَاهُ، امْحُهَا. فَقُلْتُ: هُوَ وَاللهِ رَسُولُ الله، وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُكَ، لَا، وَاللهِ لَا أَمْحُهَا. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:" أَرِنِي مَكَانَهَا"، فَأَرَيْتُهُ فَمَحَاهَا".

وفعل عليّ ﷺ سلك فيه مسلك الأدب، فلم تطاوعه نفسه أن يمحو عبارة (رسول الله) بعد أن كتبها.

وقد أورد القاضي عياض-رحمه الله- في" كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى" صورًا رائعة من السلف الصالح تدل تعظيمهم عند ذكر الحبيب النبي ﷺ، فقد ورد عن سعيد بن المسيّب-رحمه الله- أنّه جاءه رجل يسأله عن حديثٍ وهو مضطجع، فجلس وحدّثه، فقال له الرجل: وددت أنّك لم تتعنّ[1]، فقال: إني كرهت أن أحدّث عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع ".

وكان الإمام مالك-رحمه الله- يعظم حديث رسول الله ﷺ، فكان إذا جلس للفقه جلس كيف كان، وإذا أراد الجلوس للحديث اغتسل وتطيب ولبس ثيابًا جددًا، وتعمم وقعد على منصته بخشوع وخضوع ووقار، ويبخر المجلس من أوله إلى فراغه تعظيمًا للحديث **(تذكرة الحفاظ:١/١٩٦) (علوم الحديث ص:٢١٧)**.

وَقِيلَ للإمام مَالِك-رحمه الله-: لِمَ لَمْ تَأْخُذْ عَنْ عَمْرُو بْنِ دِينَارٍ؟ فَقَالَ:" أَتَيْتُهُ، فَوَجَدْتُهُ يَأْخُذُونَ عَنْهُ قِيَامًا، فَأَجْلَلْتُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ أَخُذَهُ قَائِمًا ". **(سير أعلام النبلاء:٨/٦٧)**.

وقال القاضي عياض-رحمه الله- أيضًا: واعلم أن حُرمة النبي ﷺ بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته، ومُعاملة آله وعترته وتعظيم أهل بيته وصحابته. قال أبو إبراهيم التجيبي: واجب على كُلِّ مُؤمن- متى ذكره، أو ذكر عِندَهُ- أن يخضع ويخشع ويتوقر، ويسكن من حَرَكَتِهِ، ويأخذ في هيئته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه، ويتأدب بما أدبنا الله به ". **(الشفا بتعريف حقوق المصطفى:٢/ ٤٠)**.

---

١ ـ تتعنّ: أي: تُتعب نفسك حيث جلست وأنت مريض.

الأدب الثالث: كثرة الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم:

وهذا امتثالًا لأمر الله تعالى وموافقة له سبحانه وللملائكة.

فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ[1] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب:٥٦)

قال ابن كثير-رحمه الله- في" تفسيره:٣/٥٢٣": " والمقصود من هذه الآية أن الله- سبحانه وتعالى- أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر الله- تعالى- أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا [2] ". اهـ

- ***وقال ابن القيم-رحمه الله- في" كتابه جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام" عند الآية السابقة:*** " والمعنى أنه إذا كان الله وملائكته يصلون على النبي ﷺ، فصلوا أنتم أيضًا عليه، فأنتم أحق بأن تصلوا عليه، وتسلموا تسليمًا، لما نالكم ببركة رسالته، ويُمْن سفارته من خير وشرف الدنيا والآخرة ".

- ***وقال القرطبي-رحمه الله- في" تفسيره:***":" هذه الآية شرَّف اللهُ بها رسولَه ﷺ في حياته وبعد موته، وذكر منزلته عنده، ومن فضل الله تعالى على من يُصلي على النبي ﷺ أنه يوافق الله تعالى في الصلاة على النبي ﷺ، وإن اختلفت الصلاتان: فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاة الله عليه ثناء وتشريف، وفيها كذلك موافقة الملائكة في الصلاة والسلام عليه ﷺ ".

- ***ويقول ابن الجوزي-رحمه الله- متحدثًا عن فضل الصلاة على النبي ﷺ:*** " اعلموا عباد الله أن الله- تبارك وتعالى- لطف بعباده المؤمنين وأمرهم بالصلاة على سيد المرسلين، ليستنقذهم بها من العذاب الدائم المهين، فصلى عليه ربنا ومولانا تشريفًا وتكريمًا، وصلت عليه ملائكته تفضيلًا وتعظيمًا، وأمر عباده أن يصلوا عليه ليبيح لهم من الجنة مقامًا كريمًا، فقال من لم يزل سميعًا عليمًا عليًا عظيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(الأحزاب:٥٦)". اهـ

- من صلى على النبي ﷺ صلاةً واحدةً، صلى الله تعالى عليه عشر صلوات:

فقد أخرج الإمامُ مسلمٌ من حديث أبي هريرةَ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " من صلَّى عليَّ واحدةً، صلَّى اللهُ عليه عشرًا ".

١- والمقصود بصلاة الله تعالى: هي الثناء عليه عند الملائكة- كما نقل هذا البخاري في صحيحه عن أبي العالية-رحمه الله- ونقل أيضًا البخاري عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال يصلون: أي يباركون.
- المقصود بصلاة الملائكة هي: الدعاء، كما جاء تفسير ذلك في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مجلسه تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يحدث، وأحدكم في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه ".
- والمقصود بصلاة المؤمنين على النبي ﷺ: هي الدعاء بأن يصلي الله- عز وجل- عليه وهذا بيان لعظيم قدر الصلاة على النبي ﷺ، حيث أن الله -عز وجل- لم يتركها لخلقه، بل جعل صلاتهم عليه هو سؤاله سبحانه أن يصلي على نبيه ﷺ، ومن صلى على النبي ﷺ فقد امتثل لأمر الله تعالى، لأن الله تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾
٢- هناك رسالة للمؤلف عن فضل النبي ﷺ وفضل الصلاة عليه، ضمن سلسلة:" الكتاب الجامع للفضائل".

- الصلاة على النبي ﷺ سبب في محو السيئات، وكتب الحسنات، ورفع الدرجات:

فقد أخرج الإمام أحمد والنسائي والبخاري في "الأدب المفرد" من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " من صلى عليَّ صلاةً واحدة، صلى اللهُ عليه عشر صلوات، وحطَّ عنه عشر خطيئات، ورَفع له عشر درجات ". (صحيح الجامع: ٦٣٥٩) (صحيح الترهيب والترغيب: ١٦٥٧)

- الصلاة على النبي ﷺ معروضة عليه، ويسلم على من سلم عليه:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رَسُول الله ﷺ يَقُول: " لاَ تجعَلوا بُيُوتِكُم قُبُورًا، وَلاَ تجعَلُوا قَبري عِيدًا، وَصَلُّوا عليَّ، فَإِنَّ صَلاَتَكُم تَبلُغُنِي حَيثُ كُنتُم ". (صحيح الجامع: ٧٢٢٦)

وأخرج أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث أوس بن أوس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مِنْ أَفضَل أَيَّامكم يَوْم الْجُمعَة: فِيه خُلِقَ آدَم، وَفِيه النَّفخَةُ، وَفِيه الصَّعقَةُ، فَأَكثِرُوا عليَّ مِنَ الصَّلاة فِيه، فَإِنَّ صَلاتِكُم مَعْرُوضَة عليَّ، قَالُوا: يَا رَسُول الله: وَكَيف تُعْرَض صَلاَتُنَا عَليكم وَقَد أَرَمْتَ؟ فَقَالَ:" إِنَّ الله ﷻ حَرَّمَ عَلَى الأَرض أَن تَأكُل أَجسَاد الأَنبِيَاء ".

وأخرج الإمام أحمد والنسائي وابن حبان من حديث عبد الله بن مَسْعُودٍ ﷺ عَن النَّبيّ ﷺ قَالَ: " إن للهِ تعالى مَلائِكةً سَيَّاحِينَ [1] في الأرض، يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتي السَّلاَمَ ". (صحيح الجامع: ٢١٧٤)

-من صلى على النبي ﷺ كفاه الله همَّه، وغفر له ذنبه:

وأخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم من حديث أبيّ بن كعب ﷺ قَالَ: " كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا ذَهبَ رُبُع الليل قَامَ فَقَالَ:" يَا أَيُّهَا النَّاس اذكُرُوا الله، اذكُرُوا الله جَاءَت الرَّاجِفَة تَتبَعُهَا الرَّادِفَة، جَاءَ الْمَوتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوتُ بِمَا فِيهِ"، قَالَ أُبي بن كعب ﷺ: قُلتُ: يَا رَسُول الله! إِنِّي أُكثِر الصَّلاَة عَلَيك[1]، فَكَمْ أَجْعَل لَكَ مِنْ صَلاَتِي[2]؟ قَالَ:" مَا شِئْتَ". قُلْتُ: الرُّبُع؟ قَالَ:" مَا شِئتَ، وَإِنْ زِدتَّ فَهُو خَير"، قُلتُ: النِّصف؟ قَالَ: "مَا شِئت وَإِنْ زِدتَّ فَهُو خَير"، قُلتُ: الثُّلُثَين، قَالَ:" مَا شِئتَ، وَإِنْ زِدتَّ فَهُوَ خَير"، قَالَ: أَجْعَل لَكَ صَلاَتِي كُلُها[3] ، قَالَ: "إِذًا تُكفَى هَمَّكَ، وَيُغفَرُ لَكَ ذَنبُكَ ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٧٠) (والشطر الأول من الحديث في صحيح الجامع: ٧٨٦٣)

قال الشوكاني-رحمه الله- في" كتابه تحفة الذاكرين ص:٣٠": " في هاتين الخصلتين جماع الدنيا والآخرة، فإن من كفاه الله همه سلم من محن الدنيا وعوارضها، لأن كل محنة لابد لها من تأثير الهم وإن كانت يسيرة، ومن غفر الله ذنبه سلم من محن الآخرة، لأنه لا يُوبقُ العبد فيها إلا ذنوبه ". اهـ

١- سياحين: يذهبون ويجيئون في الطريق بحثًا عن مجالس الذكر.
٢- إني أكثر الصلاة عليك: أي أريد إكثارها.
٣- فكم أجعل لك من صلاتي: أي دعائي، قال المنذري –رحمه الله–: فكم أجعل لك من دعائي صلاة عليك. (انظر الترغيب والترهيب: ٢/ ٥٠١)

- **الصلاة على النبي ﷺ سبب لقبول الدعاء:**

فقد أخرج أبو داود والترمذي من حديث فضالة بن عبيد ﷺ قال: " سمع النبي ﷺ رَجُلًا يَدعُو في صَلاَتِه لَمْ يَحمَد الله تَعَالَى، وَلَم يُصلِّ عَلَى النَّبيِّ ﷺ فَقَالَ:" عجّل هَذَا" ثُمَّ دَعَاه فَقَالَ لَه أَو لِغَيرِهِ: إِذَا صَلَّى أَحَدُكُم فَليَبدَأ بِتَحمِيد الله تَعَالَى وَالثَّنَاء عَلَيه، ثُمَّ ليُصلِّ عَلَى النَّبيِّ ﷺ ثُمَّ لِيَدعُ بَعد بِمَا شَاء ".
(صحيح الجامع: ٦٤٨)

وأخرج النسائي وابن حبان والبيهقي من حَديث علي بن أبي طالب ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: " كُل دُعَاء مَحجُوب (١) حَتَّى يُصَلَّى عَلَى النَّبيِّ ﷺ ". (ورواه الطبراني في الأوسط موقوفًا، والبعض رفعه، والموقوف أصح) (الصحيحة: ٢٠٣٥) (صحيح الجامع: ٤٥٢٣)

- **الصلاة على النبي ﷺ سبيل للفوز بشفاعته يوم القيامة:**

فقد أخرج الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ صَلَّى عليَّ حِينَ يُصبِح عَشرًا، وَحِينَ يُمسِي عَشرًا أَدركَتهُ شَفَاعَتي يَوم الْقِيَامَة ". (صحيح الجامع: ٦٣٥٧)

وأخرج الإمام مسلم من حديث عَبد الله بْنِ عَمرو بنْ الْعَاص –رضي الله عنهما– أَنَّه سَمِعَ النَّبيّ ﷺ يَقُول: " إِذَا سَمعتُم الْمُؤَذِن فَقُولُوا مِثلَ مَا يَقُول، ثُمَّ صَلُّوا عليَّ، فَإِنَّه مَنْ صَلَّى عليَّ صَلاَة، صَلَّى الله عَلَيه بِهَا عَشرًا، ثُمَّ سَلُوا الله لي الْوَسِيلَة، فَإِنَّها مَنزِلَةٌ فِي الْجَنَّة، لاَ تَنبَغِي إِلاَّ لِعَبد مِنْ عِبَاد الله، وَأَرجُو أَنْ أَكُون أَنَا هُوَ، فَمَن سَأَل لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّت لَهُ الشَّفَاعَة ".

- **أولى الناس بالنبي ﷺ يوم القيامة أكثرهم صلاةً عليه:**

فقد أخرج الترمذي وابن حبان من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قَالَ رَسُول الله ﷺ: " إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٦٨)

ومن جلس في مجلس لم يُذكر فيه الله، أو يُصَلَّى فيه على النَّبيّ ﷺ إلاَّ كَانَ هَذَا الْمَجلس عَلَيه حَسرةً يوم القِيامة، وكَأنَّه قَامَ عَنْ جيفةٍ نَتنة:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً (٢) فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ ". (الصحيحة:٧٤) (صحيح الجامع: ٥٦٠٧)

وأخرج أبو داود والبيهقي في "الشُّعب" من حديث جابر ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: " مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللهِ، وَصَلاَةٍ عَلَى النَّبيِّ ﷺ، إِلاَّ قَامُوا عَنْ أَنْتَنَ مِنْ جِيفَةٍ ". (صحيح الجامع: ٥٥٠٦)

١- محجوب: قال المناوي-رحمه الله- في" فيض القدير": وقوله: "كل دعاء محجوب" عن القبول "حتى يصلي" أي بالبناء على المفعول، أي: حتى يُصلي الداعي على النبي ﷺ ". اهـ

٢- ترة: نقص وتبعة وحسرة. (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير:١٨٩/١)

ومن لم يصلِّ على النبي ﷺ فهو بخيل:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان من حديث الحسين بن علي -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولَ الله ﷺ: " البَخِيلُ مَنْ ذُكرتُ عِندهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَليَّ ". (صحيح الجامع: ٢٨٧٨)

قوله:" البَخِيلُ " أي الكامل في البخل؛ لأنه بخل على نفسه إذ حرمها صلاة الله عليه عشرًا؛ إذ هي صلاة واحدة، ومنع أن يكتال بالمكيال الأوفى، فهو كمن أبغض الجود حتى لا يُجاد عليه، قال الفاكهاني: وهذا أقبح بخل، وأشنع شح، لم يبق بعده إلا الشح بكلمة الشهادة، وهو يقوي القول بوجوب الصلاة عليه ".

(فيض القدير:٣/٢١٦)

الذلة والهوان والصِّغار على من لم يصلِّ على الحبيب المختار ﷺ:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولَ الله ﷺ: " رَغِم أَنفُ رَجُلٍ [1] ذُكرتُ عِندهُ فَلَم يُصَلِّ عليَّ، وَرَغِمَ أَنفُ رَجُلٍ دَخَل رَمضَان ثُمَّ انسَلَخَ قبل أَن يُغفَر لَه، وَرَغِمَ أنف رَجُل أَدرَك عِندَهُ أَبَوَاه الْكِبَرَ فَلَم يُدخِلاَه الْجَنَّة". قَال عبد الرحمن: وَأَظُنُّهُ قَالَ: أَو أَحدَهمَا ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٨٠) (صحيح الجامع: ٣٥١٠)

-من سمع اسم النبي ﷺ فلم يُصَلِّ عليه أبعده اللّه، ولا تسأل عن حال من أبعده اللّه:

فقد أخرج ابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ صَعِدَ المنبَر فَقَال: " آمين، آمين، آمِين؟"، فَقَالَ:" إنَّ جِبريل -عليه السلام- أَتَاني فَقَال: مَنْ أَدركَ شَهر رَمضَان، فَلَم يُغفر له، فَدَخَل النَّار، فَأَبعدَه الله، قُلْ "آمِين"، فَقُلتُ:" آمِين"، وَمَنْ أَدرَكَ أَبَويهِ أَو أَحدَهما، فَلَم يُبرَّهُما، فَمَات، فَدَخَل النَّار، فَأَبعَدَه الله، قُل:" آمِين" فَقُلتُ:" آمِين"، وَمَنْ ذُكِرت عِندَهُ فَلَم يُصَلِّ عَلَيكَ فَمَات، فَدخَل النَّار، فَأبعدَه الله، قُلْ:" آمِين"، فَقُلتُ:" آمِين ".

فما حال هذا الرجل الذي دعا عليه سيد الملائكة- جبريل عليه السلام-، وأمَّنَ عليه سيد البشر- محمد عليه الصلاة والسلام-؟.

تنبيه: لا تدل الأحاديث السابقة على وجوب الصلاة على النبي ﷺ كلما ذُكر. **فقد ذكر الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في" الفتح:١١/١٧٣"**: بأن هذه الأحاديث لم تخرج مخرج الوجوب، وإنما مخرجَ الندب والمبالغة في تأكيد الصلاة على النبي ﷺ وطلبه في حق من اعتاد ترك الصلاة عليه ديدنًا ".

١- رغم أنف رجل: بكسر الغين - أي: لصق بالرغام، وهو التراب، وهو كناية عن الذلة والهوان والخسران، وقال ابن الأعرابي: هو بفتح الغين ومعناه: ذل.

ومن لم يصلِّ على النبي ﷺ فقد خطئ طريق الجنة:

- فقد أخرج الطبراني وابن ماجه عن الحسين وابن عباس-رضي الله عنهما- قالا: قَالَ رَسُول ﷺ:

" مَنْ ذُكِرتُ عِندَه فلم يصلِّ عليّ فقد خَطِئَ[1] طريقَ الجَنَّةِ ". (الصحيحة: ٢٣٣٧) (صحيح الجامع: ٦٢٤٥)

- وفي رواية: " مَنْ نَسِيَ[2] الصَّلاَة عليَّ خطئ طَرِيق الجَنَّة ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٨٢) (قال الحافظ بن حجر في الفتح:١١/١٧٢": والحديث له طرقٌ يشد بعضها بعضًا)

كيفية الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- (صيغ الصلاة على النبي ﷺ):

الصلاة على النبي لها صيغ متعددة، جاء ذكرها في الأحاديث النبوية، ومنها:

ما أخرجه الإمام مسلم وأحمد والنسائي والترمذي من حديث أبي مسعود عُقبةَ بْنِ عمرو الأنصاريّ ﷺ قَالَ: " أَتَانَا رَسُولُ الله ﷺ وَنَحنُ فِي مَجْلِسِ سَعدِ بْنِ عُبَادَةَ ﷺ فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ ﷺ قَدْ أَمَرَنَا اللهُ أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ:" قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آل إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَالسَّلامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ "[3] . وَزَادَ ابنُ خُزَيْمَةَ فِيهِ:" فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ إِذَا نَحْنُ صَلَّيْنَا فِي صَلاتِنَا...". ***الحديث***

وأخرج الإمام أحمد والحاكم وابن حبان من حديث أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: " أَقْبَلَ رَجُلٌ[4] حتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَمَّا السَّلامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ إِذَا نَحْنُ صَلَّيْنَا فِي صَلاتِنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَصَمَتَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى أَحْبَبْنَا أَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَسْأَلْهُ. ثُمَّ قَالَ: "إِذَا أَنتُمْ صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبرَاهِيم، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيم، وَبَارِك عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكتَ عَلَى إِبْرَاهِيم، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيم، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ". (صحيح الجامع: ٦٧٠)

وأخرج البخاري ومسلم واللفظ له من حديث عبد الرحمن بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: " لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ ﷺ فَقَالَ: ألا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ فَقُلنَا: قَدْ عَرَفْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: "قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ".

وهذه من أفضل الصيغ التي تقال في الصلاة وقد ذُكر فيها آل إبراهيم دون ذكر إبراهيم عليه السلام.

١- خطئ: أي ترك.

٢- قال المناوي-رحمه الله- في فيض القدير:٦/٢٣٢": وقوله:" مَنْ نَسِيَ الصَّلاَة عليَّ" والمراد بالنسيان هنا: الترك، ونظير هذا قوله تعالى في توبيخ الفاجر: ﴿أَتَتكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْم تُنسَى﴾ أي: تركت آياتنا فجزاؤك أنك تُترك من الرحمة، وتُوضع في العذاب، وليس المراد بالنسيان هنا: الذهول، لأن الناسي غير مكلف، أي ليس بمؤاخذ ". اهـ بتصرف واختصار.

٣- ومعنى "كما قد علمتم ": أي قد أمركم الله تعالى بالصلاة والسلام علي، فأما الصلاة فهذه صفتها, وأما السلام فكما علمتم في التشهد، وهو قولهم: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

٤- أقبل رجل: هو بشير بن سعد ﷺ.

ووردت رواية عند البخاري فيها ذكر إبراهيم- عليه الصلاة والسلام-.

فعن عبد الرحمن بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ فَقَالَ: " ألا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟ سمعتُها مِن النَّبيِّ ﷺ فَقُلتُ: بَلَى، فَاهدِهَا لي، فقال: سألنا رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله! كَيْفَ الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله علمنا كيف نُسَلِّمُ. قَالَ: "قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبرَاهِيم، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبرَاهِيم وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ".

وأخرج البخاري من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قَالَ: " قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا السَّلامُ عَلَيْكَ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ الصَّلاةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: "قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ أَنَّهُم قَالُوا: " يَا رَسُول اللهِ! كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَال رَسُولُ اللهِ ﷺ:" قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ".

وأخرج الإمام أحمد والنسائي بسند حسن من حديث طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: " قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ الصَّلاةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: "قُلْ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ".

- ***وفي لفظٍ عِنْدَ النَّسَائِيِّ:*** " أَنَّ رَجُلًا أَتَى نَبِيَّ الله ﷺ فَقَالَ: كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: "قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ [1] ".

وقفة: من خلال الأحاديث السابقة نجد أننا نطلب من الله تعالى أن يصلي على النبي ﷺ، والسؤال: لماذا لا نصلي عليه نحن مباشرة، وإنما نطلب ذلك من الله تعالى؟

يجيب عن هذا ابن القيم-رحمه الله- في" كتابه جلاء الأفهام ص:٣١٥ فيقول: " إِنَّ الصَّلاَةَ مِنَ اللهِ تَعَالَى مِنْ أَجَلِّ المَرَاتِبِ وَأَعْلاَهَا، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أَفْضَلُ الخَلْقِ فَلاَ بُدَّ أَنْ تَكُونَ الصَّلاَةُ الحَاصِلَةُ لَهُ أَفْضَلَ مِنْ كُلِّ صَلاَةٍ تَحْصُلُ لِمَخْلُوقٍ فَلاَ يَكُونُ غَيْرُهُ مُسَاوِيًا لَهُ فِيهَا ". اهـ.

١ ـ ذكرت هذه الصيغ وغيرها في رسالة للمؤلف بعنوان:" فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم". فارجع إليها غير مأمور ففيها فوائد كثيرة.

الأدب الرابع: تَلَقِّي خَبَرِ النبي صلى الله عليه وسلم بالقَبولِ والتَّصديقِ:

مِنَ الأدَبِ الواجِبِ مَعَ النَّبيِّ ﷺ: تَصديقُه في جَميعِ ما أخبَرَ به مِن أنباءِ ما قد سَبَقَ، وأخبارِ ما سَيَأتي، وفيما أحَلَّ مِن حَلالٍ وحَرَّمَ مِن حَرامٍ.

قال ابنُ القَيِّمِ-رحمه الله-: " رَأسُ الأدَبِ مَعَ الرَّسولِ ﷺ: كَمالُ التَّسليمِ له، والانقيادُ لأمرِه، وتَلَقِّي خَبَرِه بالقَبولِ والتَّصديقِ، دونَ أن يَحمِلَه مُعارَضةُ خَيالٍ باطِلٍ يُسَمِّيه مَعقولًا، أو يَحمِلُه شُبهةٌ أو شَكٌّ، أو يُقدِّمَ عليه آراءَ الرِّجالِ وزبالاتِ أذهانِهم، فيوحِّدُه بالتَّحكيمِ والتَّسليمِ، والانقيادِ والإذعانِ، كَما وحَّدَ المُرسِلَ سُبحانَه وتعالى بالعِبادةِ والخُضوعِ، والذُّلِّ والإنابةِ والتَّوكُّلِ". **(مدارج السالكين:٢/ ٣٦٥)**.

وقال ابنُ قُدامةَ-رحمه الله-: " يَجِبُ الإيمانُ بكُلِّ ما أخبَرَ به النَّبيُّ ﷺ وصَحَّ به النَّقلُ عنه فيما شاهَدناه أو غابَ عنَّا، نَعلمُ أنَّه حَقٌّ وصِدقٌ، وسَواءٌ في ذلك ما عَقَلناه وجَهِلناه، ولم نَطَّلِعْ على حَقيقةِ مَعناه ".

(لمعة الاعتقاد ص: ٢٨)

قال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ(٣٢) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ(٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ(٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الزمر:٣٢- ٣٥).

فالذي جاءَ بالصِّدقِ: هو رَسولُ اللهِ ﷺ. وهو قَولُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ، وابنِ عبَّاسٍ، وقتادةَ، وابنِ زَيدٍ. والذي صَدَّقَ به: هُمُ المُؤمِنونَ. وهو قَولُ قتادةَ، والضَّحَّاكِ، وابنِ زَيدٍ، وذلك على أحَدِ الأقوالِ في الآيةِ.

(زاد المسير لابن الجوزي:٤/ ١٨).

وقال تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

فإنَّ اللَّهَ تعالى لمَّا بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ رَسولًا إلى الخَلقِ، كان الواجِبُ على الخَلقِ تَصديقَه فيما أخبَرَ، وطاعَتَه فيما أمَرَ. **(الإيمان الأوسط لابن تيمية ص: ٣٩٦)**.

قال عياضٌ-رحمه الله-: " الإيمانُ به ﷺ هو تَصديقُ نُبوَّتِه ورِسالةِ اللهِ له، وتَصديقُه في جَميعِ ما جاءَ به وما قاله، ومُطابَقةُ تَصديقِ القَلبِ بذلك شَهادةُ اللِّسانِ بأنَّه رَسولُ اللهِ ﷺ".

(الشفا بتعريف حقوق المصطفى:٢/ ٣)

وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

(سورة هود: ٤٩)

وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى(٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ (سورة النجم: ٣، ٤).

وإنَّما وجَبَ تَصديقُه ﷺ لأنَّه لا يَنطِقُ عنِ الهَوى، فخَبَرُه صِدقٌ قَطعًا. فالآيةُ فيها بَيانُ أنَّ اللهَ عزَّ شأنُه أوجبَ اتِّباعَ النَّبيِّ ﷺ فيما يقولُه، وإنْ لم يكنْ مِن القُرآنِ، وأيضًا فرِسالتُه اقتَضَتْ صِدْقَه فيما يُخبِرُ به عنِ اللهِ تعالى مِن القُرآنِ وغيرِ القُرآنِ؛ فوَجَبَ بذلك تصديقُه فيما أخبَرَ به، وإنْ لم يكُنْ ذلك مِن القُرآنِ.

(شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية ص: ٢٢٨)

وقال تعالى: ﴿إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ (سورة ص: ١٤).

أنَّ سُنَّةَ اللهِ تعالى فيمَن كَذَّبَ رُسُلَه ماضيةٌ في نُزولِ العَذابِ والهَوانِ بهم.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة المؤمنون: ٤٤).

أخرج البخاري ومسلم من حديث عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضِيَ اللهُ عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **" أُمِرتُ أن أُقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يَشهَدوا أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ، ويُقيموا الصَّلاةَ، ويُؤتوا الزَّكاةَ، فإذا فعَلوا ذلك عَصَموا مِنِّي دِماءَهم وأموالَهم إلَّا بحَقِّ الإسلامِ، وحِسابُهم على اللهِ ".**

ومَعنى شَهادةِ أنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ ﷺ: طاعَتُه فيما أمَر، وتَصديقُه فيما أخبَرَ، واجتِنابُ ما عنه نَهى وزَجَرَ، وألَّا يُعبَدَ اللَّهُ إلَّا بما شَرَع. **(ثلاثة الأصول لمحمد بن عبد الوهاب-رحمه الله- ص: ١٩٠).**

وقال ابنُ تَيميَّةَ-رحمه الله-: " نَحنُ نَعلمُ يَقينًا بالاضطِرارِ مِن دينِ الإسلامِ أنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ ﷺ أوجَبَ اللهُ تعالى علينا طاعَتَه فيما أمَر، وتَصديقَه فيما أخبَرَ، ولم يَأمُرْ بطاعةِ غَيرِه". **(الصفدية ص: ٢٥٨).**

وقد أخرج الإمام أحمد وأهل السنن إلا النسائي عن أَبِي رَافِعٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **" لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: لا نَدْرِي! مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ ".** (صحيح الجامع: ٧١٧٢).

وقال الخطابي-رحمه الله-: " فإن النبي ﷺ يحذر مخالفة السنن التي سنها رسول الله ﷺ مما ليس في القرآن ذكره ". **(معالم السنن:٤/٢٩٨).**

وأخرج أبو داود والترمذي من حديث الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **" ألا إني أُوتيتُ القرآنَ ومثلَه معه، ألا يُوشِكُ رجلٌ شبعانٌ على أريكتِه يقول: عليكم بهذا القرآنِ، فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحِلُّوه، وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرِّموهُ، وإنَّ ما حرَّمَ رسولُ اللهِ كما حرَّمَ اللهُ، ألا لا يحلُّ لكم الحمارُ الأهليُّ، ولا كلُّ ذي نابٍ من السباعِ، ولا لُقَطَةُ معاهدٍ إلا أن يستغنيَ عنها صاحبُها، ومن نزل بقومٍ فعليهم أن يَقْرُوهُ، فإن لم يَقْرُوهُ، فله أن يُعْقِبَهُمْ بمثلِ قِرَاهُ ".**

- *وفي رواية:* **" أَلا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الْحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلالا اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ؛ وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ".**

قال الإمام الآجري-رحمه الله-: " ينبغي لأهل العلم والعقل إذا سمعوا قائلا يقول: قال رسول الله ﷺ في شيء قد ثبت عند العلماء، فعارض إنسان جاهل، فقال: لا أقبل إلا ما كان في كتاب الله، قيل له: أنت رجل سوء، وأنت ممن حذرناك النبي ﷺ، وحذر منك العلماء. وقيل له: يا جاهل، إن الله أنزل فرائضه جملة، وأمر نبيه ﷺ أن يبين للناس ما أنزل إليه. قال الله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل:٤٤). فأقام الله جل وعلا نبيه ﷺ مقام البيان عنه، وأمر الخلق بطاعته، ونهاهم عن معصيته، وأمرهم بالانتهاء عما نهاهم عنه، وقال له: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (سورة الحشر:٧). ثم حذرهم أن يخالفوا أمر رسول الله ﷺ، فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور:٦٣).

وقال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء:٦٥). ثم فرض على الخلق طاعته في نيف وثلاثين موضعًا من كتابه. وقيل لهذا المعارض لسنن الرسول ﷺ: يا جاهل، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (سورة البقرة:١١٠). أين تجد في كتاب الله له أن الفجر ركعتان، وأن الظهر أربع، وأن العصر أربع، وأن المغرب ثلاث، وأن العشاء أربع؟ وأين تجد أحكام الصلاة ومواقيتها، وما يصلحها وما يبطلها إلا من سنن النبي ﷺ؟ ومثلها الزكاة، أين تجد في كتاب الله عز وجل من مائتي درهم: خمسة دراهم، ومن عشرين دينارا: نصف دينار، ومن أربعين شاة: شاة، ومن خمس من الإبل: شاة، ومن جميع أحكام الزكاة، أين تجدها في كتاب الله؟ وكذلك جميع فرائض الله، التي فرضها الله جل وعلا في كتابه، لا يعلم الحكم فيها، إلا بسنن الرسول ﷺ هذا قول علماء المسلمين من قال غير هذا خرج عن ملة الإسلام،ودخل في ملة الملحدين، نعوذ بالله تعالى من الضلالة بعد الهدى ". اهـ (الشريعة ص:٥٠)

صورٌ من تَصديقِ الصَّحابةِ للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم:

أخرج الحاكم والبيهقي في" دلائل النبوة" من حديث عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالت: **" لمَّا أُسرِي بالنَّبيِّ ﷺ إلى المَسجِدِ الأقصى أصبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بذلك، فارتَدَّ ناسٌ ممَّن كان آمَنوا به وصَدَّقوه، وسَمِعوا بذلك إلى أبي بَكرٍ ﷺ، فقالوا: هَل لك إلى صاحِبِك يَزعُمُ أنَّه أُسري به اللَّيلةَ إلى بَيتِ المَقدِسِ، قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نَعَم، قال: لئِن كان قال ذلك لقد صَدَقَ، قالوا: أو تُصَدِّقُه أنَّه ذَهَبَ اللَّيلةَ إلى بَيتِ المَقدِسِ وجاءَ قَبلَ أن يُصبحَ؟ قال: نَعَم، إنِّي لأصَدِّقُه فيما هو أبعَدُ مِن ذلك؛ أُصَدِّقُه بخَبَرِ السَّماءِ في غَدوةٍ أو رَوحةٍ؛ فلذلك سُمِّيَ أبو بَكرٍ الصِّدِّيقَ ".** (السلسلة الصحيحة:٣٠٦)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود واللفظ له والنسائي من حديث عُمارةَ بنِ خُزَيمةَ أنَّ عَمَّه حدَّثه، وهو من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ: **" أنَّه ابتاع فَرسًا مِن أعرابيٍّ، فاستَتبَعه النَّبيُّ ﷺ ليقضِيَ ثَمنَ فَرسِه، فأسرَع النَّبيُّ ﷺ المَشيَ، وأبطَأ الأعرابيُّ، فطفِق رجالٌ يعترِضونَ الأعرابيَّ يُساومونَه بالفَرسِ، لا يشعُرونَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ ابتاعَه، فنادى الأعرابيُّ النَّبيَّ ﷺ، فقال: إن كنْتَ مُبتاعًا هذا الفَرسَ فابتَعْه، وإلَّا بِعْتُه، فقال النَّبيُّ ﷺ حينَ سمِع نِداءَ الأعرابيِّ: أوَليس قد ابتَعْتُه؟ قال الأعرابيُّ: لا واللهِ ما بِعْتُك، فقال النَّبيُّ ﷺ: بلى قد ابتَعْتُه، فطفِق الأعرابيُّ يقولُ: هلُمَّ شهيدًا، فقال خُزَيمةُ: أنا أشهَدُ أنَّك قد ابتَعْتَه، فأقبَل النَّبيُّ ﷺ على خُزَيمةَ: بِمَ تشهَدُ؟ قال: بتَصديقِك يا رسولَ اللهِ، فجعَل رسولُ اللهِ ﷺ شهادةَ خُزَيمةَ بشهادةِ رجُلَينِ ".**

(صحيح سنن أبي داود:٣٦٠٧)

– *وفي رواية:* **ما حملك على الشهادة ولم تكن معه حاضرًا؟ قال: صدقتك لما جئت به وعلمت أنك لا تقول إلا حقًا، فقال رسول الله ﷺ: من شهد له خزيمة أو شهد عليه فحسبة ".**

(أخرجه البخاري في التاريخ، والطبراني والحاكم، وقال الهيثمي: رجاله كلهم ثقات)

أخرج البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **" إنَّ أهلَ الجَنَّةِ يَتَراءَونَ أهلَ الغُرَفِ مِن فوقِهم كما يَتَراءَونَ الكَوكَبَ الدُّرِّيَّ الغابِرَ[1] في الأُفُقِ مِنَ المَشرِقِ أوِ المَغرِبِ؛ لتَفاضُلِ ما بينَهم. قالوا: يا رَسولَ اللهِ، تلك مَنازِلُ الأنبياءِ لا يَبلُغُها غَيرُهم؟ قال: بَلى، والذي نَفسي بيَدِه، رِجالٌ آمَنوا باللهِ وصَدَّقوا المُرسَلينَ ".**

أي أنَّ أهلَ الدَّرجاتِ الأَقَلِّ في الجنَّةِ يَنظُرونَ إلى أهْلِ الغُرَفِ والدَّرجاتِ العُليا فَوقَهم، ويَرَوْنَهم كما يَرَوْنَ الكَوكَبَ المُضيءَ الَّذي ذَهَبَ بعْدَ انتشارِ ضَوءِ الفَجرِ في أطرافِ السَّماءِ؛ لِتَفاضُلِ ما بيْنَهم، ولبُعدِ مَنازِلِ أَهلِ الغُرَفِ العاليةِ عن باقي أهْلِ الجَنَّةِ.

---

١ ـ الغابر: البعيد.

الأدب الخامس: الانقياد التام، والطاعة المطلقة للنبي صلى الله عليه وسلم:

فمِنَ الأدَبِ مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ: طاعَتُه فيما أمَرَ به، والانتِهاءُ عَمَّا نَهى عنه وزَجَرَ.

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الحشر:٧).

- **وطاعة الرسول ﷺ واجبة، بل هي أصل من أصول الإيمان كما دل القرآن الكريم على ذلك، قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (سورة النساء: ٥٩)

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ قَالَ العلماء: معناه إِلَى الكتاب والسُنّة.

يقول الألوسي-رحمه الله- في تفسيره هذه الآية: "وأعاد الفعل وإن كانت طاعة الرسول ﷺ مقترنة بطاعة الله تعالى اعتناء بشأنه ﷺ وقطعًا لتوهم أنه لا يجب امتثال ما ليس في القرآن وإيذانًا بأن له ﷺ استقلالًا بالطاعة لم يثبت لغيره من البشر ومن ثم لم يعد في قوله سبحانه: ﴿وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ إيذانًا بأنهم لا استقلال لهم فيها استقلال الرسول ﷺ". اهـ (روح المعاني:٥/٦٥).

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (سورة المائدة:٩٢)

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (سورة النساء: ٦٤)

- وقد أخبر الله تعالى أنه لا يؤمن شخص حتى يحكم الرسول ﷺ فيما نزل به من نوازل، ولا يجد في نفسه حرجا من حكمه الشريف ويسلم تسليما، **قال تعالى:** ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة النساء:٦٥)

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره:٢/ ٣٤٩": "وَقَوْلُهُ: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ يُقْسِمُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ الْمُقَدَّسَةِ: أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَحَدٌ حَتَّى يُحَكِّمَ الرَّسُولَ ﷺ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، فَمَا حَكَمَ بِهِ فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَجِبُ الِانْقِيَادُ لَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، أَيْ: إِذَا حَكَّمُوكَ يُطِيعُونَكَ فِي بَوَاطِنِهِمْ، فَلَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا حَكَمْتَ بِهِ، وَيَنْقَادُونَ لَهُ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، فَيُسَلِّمُونَ لِذَلِكَ تَسْلِيمًا كُلِّيًّا مِنْ غَيْرِ مُمَانَعَةٍ، وَلَا مُدَافِعَةٍ، وَلَا مُنَازِعَةٍ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ:" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ". اهـ

فينبغي على كل من يزعم أنه على الإسلام، أن يحسن الأدب مع النبي ﷺ، وليكن طوَّاعًا لأمره، مجتنبًا لنهيه، مقتديًا به؛ ليدلل على صحة إيمانه، وصدق مُدَّعاه.

وقال تعالى: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (سورة النساء: ٨٠).

قال ابن القيم-رحمه الله-: " أمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وأعاد الفعل إعلامًا بأن طاعة الرسول ﷺ تجب استقلالًا من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقًا، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أوتي الكتاب ومثله معه ". (إعلام الموقعين: ١/٤٨).

ويقول الألوسي-رحمه الله-: " وأعيد الضمير إليه ﷺ لأنّ المقصود طاعته ﷺ وذكر طاعة الله توطئة لطاعته وهي مستلزمة لطاعة الله تعالى، لأنّه مبلغ عنه فكان الراجع إليه كالراجع إلى الله تعالى ".

(روح المعاني: ٩/١٨٨)

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران: ٣١، ٣٢).

قال ابن كثير-رحمه الله-: " هذه الآية حاكمة على كل نفس من ادَّعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله ".

(تفسير ابن كثير: ٢/٢٥).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٣) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (سورة النور: ٥١-٥٤) **ثم قال:** ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (سورة النور: ٥٦).

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ ﴾ (سورة الشورى: ٥٢،٥٣)

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ (سورة محمد: ٣٣).

وقال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ (سورة النساء: ٤١،٤٢).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦).

وها هم الكفار يتمنون طاعة الرسول ﷺ من حيث لا ينفعهم التمني بعد دخولهم النار، وتقلب وجوههم فيها، وقد حكى الله عنهم ذلك. **فقال تعالى:** ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴾ (سورة الأحزاب: ٦٦).

وقد حذّر الرسول ﷺ عن هذا المفهوم الخاطىء وهو الاكتفاء بما جاء في القرآن دون الرجوع إلى السنة المبينة للقرآن الكريم بقوله ﷺ.

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه أبو داود والترمذي من حديث الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" أَلا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الْحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلالا اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ؛ وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ ".**

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" دَعُوني ما تَرَكتُكُم؛ إنَّما هَلك مَن كان قَبلَكُم بسُؤالِهم واختِلافِهم على أنبيائِهم، فإذا نَهيتُكُم عن شيءٍ فاجتَنِبوه، وإذا أمَرتُكُم بأمرٍ فَأْتُوا مِنه ما استطَعتُم ".**

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّه، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي ".**

والله سبحانه قد أكمل لعباده الدين وأتمّ عليهم النعمة، والرسول ﷺ قد بلغ البلاغ المبين، ولم يترك طريقًا يوصل إلى الجنة ويباعد عن النار إلا بينه للأمة. ***كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" ما بعث الله من نبي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شرَ ما يعلمه لهم ".**

أخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث العِرباضِ بنِ ساريَةَ ﷺ قال: **" وعَظَنا رسولُ اللهِ ﷺ يومًا بَعدَ صلاةِ الغَداةِ مَوعظةً بليغةً ذرَفَت[١] منها العُيونُ ووَجِلَت[٢] منها القُلوبُ، فقال رجُلٌ: إنَّ هذه موعِظةُ مُوَدِّعٍ، فماذا تعهَدُ إلينا يا رسولَ اللهِ؟ قال:" أوصيكم بتقوى اللهِ والسَّمعِ والطَّاعةِ، وإنْ عَبدٌ حَبَشيٌّ؛ فإنَّه مَن يَعِشْ منكم يرى اختلافًا كثيرًا، وإيَّاكم ومُحدَثاتِ الأمورِ؛ فإنَّها ضلالةٌ، فمَن أدرك ذلك منكم فعليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المهديِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ ".**

١ـ ذَرَفتِ العَينُ تذرِفُ: إذا سال منها الدَّمعُ. (جامع الأصول لابن الأثير: ١/ ٢٧٩)
٢ـ وَجِلَت: أي: خافَت، يُقالُ: وَجِلَ القَلبُ يوجَلُ: إذا خاف وفزِعَ، والوَجَلُ: الفزَعُ. (جامع الأصول لابن الأثير: ١/ ٢٧٩)

صُوَرٌ مِن حِرصِ الصَّحابةِ على طاعةِ الرَّسولِ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّم:

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (سورة آل عمران: ١٧٢- ١٧٤).

أخرج البخاري ومسلم من حديث عائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عنها- قالت لعُروةَ في الآيةِ السابقة: " يا ابنَ أُختي، كان أبَواك مِنهم: الزُّبَيرُ، وأبو بَكرٍ، لمَّا أصابَ رَسولَ اللهِ ﷺ ما أصابَ يومَ أُحُدٍ، وانصَرَف عنه المُشرِكونَ، خاف أن يَرجِعوا، قال: مَن يَذهَبُ في إثرِهم؟ فانتَدَبَ مِنهم سَبعونَ رَجُلًا، قال: كان فيهم أبو بَكرٍ، والزُّبَيرُ ".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث البَراءِ ﷺ قال: " لمَّا قَدِمَ رَسولُ اللهِ ﷺ المَدينةَ صَلَّى نَحوَ بَيتِ المَقدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أو سَبعةَ عَشَرَ شَهرًا، وكان يُحِبُّ أن يوجَّهَ إلى الكَعبةِ، فأنزَل اللهُ تعالى: قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا (البقرة:١٤٤)، فوُجِّهَ نَحوَ الكَعبةِ، وصَلَّى مَعَه رَجُلٌ العَصرَ، ثُمَّ خَرَجَ فمَرَّ على قَومٍ مِنَ الأنصارِ، فقال: هو يَشهَدُ أنَّه صَلَّى مَعَ النَّبيِّ ﷺ، وأنَّه قد وجَّهَ إلى الكَعبةِ، فانحَرَفوا وهم رُكوعٌ في صَلاةِ العَصرِ ".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنس ﷺ قال: " كنتُ ساقِيَ القومِ في منزل أبي طلحة، وكان خمرهم يومئذ الفَضيخَ[1]، فأمر رسول الله ﷺ مناديًا ينادي: ألا إن الخمر قد حُرِّمَتْ. قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها، فخرجتُ فهَرَقْتُها، فَجَرَتْ في سكك المدينة ".

- وفي رواية قال: " ما كان لنا خمر غير فضِيخكم هذا الذي تسمونه الفضيخ، فإني لقائم أسقي أبا طلحة وفلانًا وفلانًا إذ جاء رجل فقال: وهل بلغكم الخبر؟ فقالوا: وما ذاك؟ قال: حُرِّمَتِ الخمر. قالوا: أهرق هذه القلال يا أنس. قال: فما سألوه عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل ". (أخرجه البخاري ومسلم)

وأخرج أبو داود من حديث أبي أُسَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلنِّسَاءِ: " اسْتَأْخِرْنَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنْ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ، عَلَيْكُنْ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ، فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْصَقُ بِالْجِدَارِ حَتَّى أَنْ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لصُوقِهَا بِهِ ". (الصحيحة:٨٥٦).

١ ـ الفضيخ أن يفضخ البسر، ويصب عليه الماء ويتركه حتى يغلي.

أخرج البخاري ومسلم من حديث أَنَسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: " أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ جاءَه جاءٍ، فقال: أُكِلَتِ الحُمُرُ، فسَكَتَ، ثُمَّ أتاه الثَّانيةَ، فقال: أُكِلَتِ الحُمُرُ، فسَكَتَ، ثُمَّ أتاه الثَّالثةَ فقال: أُفْنِيَتِ الحُمُرُ، فأمَر مُناديًا فنادى في النَّاسِ: إنَّ اللَّهَ ورَسولَه يَنهَيانِكُم عن لُحومِ الحُمُرِ الأهليَّةِ. فأُكفِئَتِ القُدورُ وإنَّها لتَفورُ باللَّحمِ ".

أخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي ثَعلبَةَ الخُشَنيِّ ﷺ قال: " كان النَّاسُ إذا نَزَلوا مَنزِلًا تفرَّقوا في الشِّعابِ والأوديةِ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّ تَفرُّقَكُم في هذه الشِّعابِ والأوديةِ إنَّما ذلكم مِنَ الشَّيطانِ. فلم يَنزِلْ بَعدَ ذلك مَنزِلًا إلَّا انضَمَّ بَعضُهم إلى بَعضٍ، حتَّى يُقالَ: لو بُسِطَ عليهم ثَوبٌ لعَمَّهم ".

(صحيح سنن أبي داود:٢٦٢٨)

أخرج الإمام مسلم من حديث ابنِ عبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عنهما- قال: " أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ رَأى خاتَمًا مِن ذَهَبٍ في يَدِ رَجُلٍ، فنَزَعَه فطَرَحَه، وقال: يَعمِدُ أحَدُكُم إلى جَمرةٍ مِن نارٍ فيَجعَلُها في يَدِه! فقيل للرَّجُلِ بَعدَ ما ذَهَبَ رَسولُ اللهِ ﷺ: خُذْ خاتَمَك انتَفِعْ به، قال: لا واللَّهِ، لا آخُذُه أبَدًا وقد طَرَحَه رَسولُ اللهِ ﷺ ".

قال عياضٌ -رحمه الله-: " قَولُه: " لا آخُذُه أبَدًا وقد طَرَحَه رَسولُ اللهِ ﷺ ": مُبالغةٌ في امتِثالِ طاعَتِه واجتِنابِ نَهيِه ". (إكمال المعلم:٦/ ٦٠٥).

وقال القُرطُبيُّ -رحمه الله-: " قَولُ الرَّجُلِ: " لا واللَّهِ لا آخُذُه أبَدًا " مُبالغةٌ في طاعةِ رَسولِ اللهِ ﷺ، فيَكونُ الرَّجُلُ قد نَوى أن يَدفعَه لمَن يَستَحِقُّه مِنَ المَساكينِ، لا أنَّه أضاعَه، فإنَّه ﷺ قد نَهى عن إضاعةِ المالِ".

(المفهم:٥/ ٤٠٩) (شرح مسلم للنووي:١٤/ ٦٥، ٦٦).

أخرج الإمام أحمد وأبو داود واللفظ له والترمذي من حديث سُلَيمِ بنِ عامرٍ رَجُلٍ مِن حِميَرٍ قال: " كان بَينَ مُعاويةَ وبَينَ الرُّومِ عَهدٌ، وكان يَسيرُ نَحوَ بلادِهم حتَّى إذا انقَضى العَهدُ غَزاهم، فجاءَ رَجُلٌ على فَرَسٍ أو بِرذَونٍ[١] وهو يَقولُ: اللهُ أكبَرُ، اللَّهُ أكبَرُ، وفاءٌ لا غدرٌ[٢]، فنَظَروا فإذا عَمرُو بنُ عَبَسةَ، فأرسَلَ إليه مُعاويةُ فسَأله، فقال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: " مَن كان بَينَه وبَينَ قَومٍ عَهدٌ فلا يَشُدَّ عُقدةً ولا يَحُلَّها حتَّى يَنقَضيَ أمَدُها[٣] أو يَنبِذَ إليهم على سَواءٍ[٤]، فرَجَعَ مُعاويةُ ". (صحيح سنن أبي داود:٢٧٥٩)

أخرج البخاري من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: " كانت امرأة لعمر ﷺ تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد، فقيل لها: لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغارُ؟ قالت: وما يمنعه أن ينهاني؟ قال: يمنعه قول رسول الله ﷺ: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ".

١- على فَرَسٍ: أي: فَرَسٍ عَرَبيٍّ. أو بِرذَونٍ: أي: أو فَرَسٍ تُركيٍّ. (المفاتيح للمظهري:٤/ ٤٢٣).
٢- وفاءٌ لا غَدرٌ: يَعني: ليَكُنْ مِنكُم وفاءٌ بالعَهدِ لا غَدرٌ، أو: الواجِبُ عليكُم وفاءٌ لا غَدرٌ. (المفاتيح للمظهري:٤/ ٤٢٣).
٣- الأمَدُ: الغايةُ. يُنظر: (معالم السنن للخطابي:٢/ ٣١٧).
٤- يَنبِذُ إليهم على سَواءٍ: أي: يُعلِمُهم أنَّه يُريدُ أن يَغزوَهم، وأنَّ الصُّلحَ الذي كان قدِ ارتَفعَ، فيَكونُ الفريقانِ في عِلمِ ذلك على السَّواءِ. قيل: يُشبِهُ أن يَكونَ إنَّما كَرِه عَمرُو بنُ عَبَسةَ ذلك مِن أجلِ أنَّه إذا هادَنَهم إلى مُدَّةٍ وهو مُقيمٌ في وطَنِه، فقد صارَت مُدَّةُ مَسيرِه بَعدَ انقِضاءِ المُدَّةِ كالمَشروطِ مَعَ المُدَّةِ المَضروبةِ في أن لا يَغزوَهم فيها، فإذا صارَ إليهم في أيَّامِ الهُدنةِ كان إيقاعُه قَبلَ الوقتِ الذي يَتَوقَّعونَه، فعَدَّ ذلك عَمرٌو غَدرًا. (معالم السنن للخطابي:٢/ ٣١٧) (شرح السنة للبغوي:١١/ ١٦٦).

أخرج البخاري ومسلم من حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قال: **" بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ ".**

وقد روى الطبراني في ترجمة جرير: " أنّ غلامه اشترى له فرسًا بثلاثمائة، فلمّا رآه جاء إلى صاحبه فقال: إنّ فرسك خير من ثلاثمائة، فلم يزل يزيده حتى أعطاه ثمانمائة ".

فكان يعمل بما بايع عليه النبي ﷺ وهو: النصح لكل مسلم.

أخرج الإمام مسلم من حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ ﷺ قال: **" كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً فَقَالَ: " أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟! " قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: " عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَتُطِيعُوا، وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا ". قال راوي الحديث: فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ ".**

وكانوا يفعلون ذلك انقيادًا لأمر رسول الله ﷺ ووفاء لما بايعوه عليه.

وأخرج أبو داود عن عبد الله بن عمرو -رَضِيَ اللَّهُ عنهما- قال: **هبطنا مع رسولِ اللهِ ﷺ من ثنيَّةٍ[1]، فالتفت إليَّ وعليَّ رَيْطةٌ[2] مضرَّجةٌ[3] بالعُصفرِ، فقال: ما هذه الريطةُ عليكَ[4]؟ فعرفتُ ما كره، فأتيتُ أهلي وهم يسجرون[5] تنُّورًا[6] لهم، فقذفتُها فيه، ثم أتيتُه من الغدِ، فقال: يا عبدَ اللهِ! ما فعلتَ بالرَّيْطةِ؟ فأخبرتُه، فقال: " ألا كسوتَها بعضَ أهلِك فإنَّهُ لا بأس به للنساءِ ".** اهـ

أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: " سمعتُ عُمر بن الخطاب ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: **" إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم قال عُمَرُ ﷺ: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ نهى عنها - ذاكرًا ولا آثرًا[7] - ".**

أخرج البخاري ومسلم من حديث كعب بن مالك ﷺ: **" أنه تقاضى ابنَ حَدْرَدٍ دينًا كان له عليه في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سَمِعَها رسول الله ﷺ وهو في بيته، فخرج إليهما حتى كشف سجفَ حُجرته[8] فنادى: يا كعب". قال: لبيك يا رسول الله. قال: ضع من دينك هذا، وأومأ إليه، أي الشطر. قال: فعلت يا رسول الله. قال: قم فاضه ".**

١- ثَنيَّةٍ: أي: طريقٍ مِن طُرقِ الجِبالِ.
٢- رَيْطةٌ: أي: ثوبٌ مِن قِطْعةٍ واحدةٍ مِثلُ المُلاءَةِ رقيقٌ ليِّنٌ.
٣- مُضرَّجةٌ: أي: مَصْبوغةٌ صبغًا خفيفًا "بالعُصفُرِ". والعُصفُرُ: نَباتٌ يُستَخرَجُ منه صِبغٌ أصفَرُ أو أحمر وهو الغالب.
٤- ما هذه الرَّيطةُ علَيكَ؟: استِعْجابٌ واستِنْكارٌ مِن النَّبيِّ ﷺ لِلُبسِه إيَّاها؟.
٥- يَسجُرون: أي: يُوقِدون نارًا.
٦- التَّنُّورُ: المَوقِدُ الَّذي يُخبَزُ فيه.
٧- ذاكرا ولا آثرًا: ذاكرا: أي قائلا لها من قبل نفسي، ولا آثرًا: أي حالفا من غيري.
٨- سجف حُجرته: أي سترها.

أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " ما حق امرئ مُسلم، له شيء يُريدُ أن يُوصي فيه، يبيتُ ليلتين، إلا وَوَصِيَّتُهُ مكتوبة عنده ".

قال ابن عمر-رضي الله عنهما-: مَا مَرَّتْ علي ليلةٌ مُنذُ سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ قال ذلك إلا وَعِنْدِي وَصِيتي. (رواه مسلم)

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي مسعود البدري ﷺ قال: " كُنتُ أَضربُ غُلامًا لي بالسوط، فسمعت صوتًا من خَلْفي اعْلَمْ أَبَا مسعودٍ فَلَمْ أَفْهَم الصَّوتَ مِنَ الغَضَبِ. قال: فلما دَنَا مِنِّي، إذا هُوَ رَسُولُ الله، فإذا هو يقولُ:" اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ أَبا مَسْعُودٍ، قال: فألقيت السوط من يدي فقال: اعْلَمْ أَبا مَسْعُودٍ أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عليكَ مِنْكَ على هذا الغُلام قال فقلتُ: لا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا ".

- **وكان الصحابة-رضي الله عنهم- إذا أمرهم النبي ﷺ بالبر أصابوا أعلاه:**

ففي مسند الإمام أحمد عن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ أعطى أبا ذر غلامًا من خيبر وقال له: استوص به خيرًا. ثم قال: يا أبا ذر ما فعل الغلام الذي أعطيتك؟ قال: أمرتني أن أستوصي به خيرا فأعتقته ".

قال ابنُ تَيميَّةَ-رحمه الله-: " نَحنُ نَعلمُ يَقينًا بالاضطِرارِ مِن دينِ الإسلامِ أنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ ﷺ ، أوجَبَ اللهُ تعالى علينا طاعَتَه فيما أمَرَ، وتَصديقَه فيما أخبَرَ، ولم يَأمُرْ بطاعةِ غَيرِه ". (الصفدية ص: ٢٥٨).

وقال حافظُ الحَكَميِّ-رحمه الله- في بَيانِ مَعنى شَهادةِ أنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ ﷺ: " هو التصديقُ الجازمُ من صميمِ القَلبِ، المواطِئُ لقَولِ اللِّسانِ بأنَّ مُحَمَّدًا عَبدُه ورَسولُه إلى كافَّةِ النَّاسِ؛ إنسِهم وجِنِّهِم، ﴿شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا(٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (سورة الأحزاب:٤٥،٤٦)، فيَجِبُ تصديقُه في جميع ما أخبر به من أنباءِ ما قد سبق، وأخبارِ ما سيأتي، وفيما أحَلَّ من حلالٍ، وحَرَّم من حرامٍ، والامتثالُ والانقيادُ لِما أمر به، والكَفُّ والانتهاءُ عما نهى عنه، واتِّباعُ شريعتِه، والتزامُ سُنَّتِه في السِّرِّ والجَهرِ، مع الرِّضا بما قضاه، والتسليمِ له، وأنَّ طاعتَه هي طاعةُ اللهِ، ومَعصِيَتَه معصيةُ اللهِ؛ لأنَّه مُبَلِّغٌ عن اللهِ رسالتَه، ولم يتوَفَّه اللهُ حتى أكمَلَ به الدِّينَ، وبَلَّغ البلاغَ المُبِينَ، وتَرَكَ أمَّتَه على المحَجَّةِ البَيضاءِ، لَيْلُها كنهارِها، لا يَزِيغُ عنها بَعْدَه إلَّا هالِكٌ ". (أعلام السنة المنشورة ص: ١٤).

وقال الشيخ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الوهَّابِ-رحمه الله-: " مَعنى شَهادةِ أنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ ﷺ: طاعَتُه فيما أمَرَ، وتَصديقُه فيما أخبَرَ، واجتِنابُ ما عنه نَهى وزَجَرَ، وألَّا يُعبَدَ اللهُ إلَّا بما شَرَعَ ".

(ثلاثة الأصول ص: ١٩٠)

قال ابن القيم–رحمه الله–:" ولله على كل قلب هجرتان، وهما فرض لازم له على الأنفاس: هجرة إلى الله تعالى بالتوحيد، والإخلاص، والإنابة، والحب، والخوف، والرجاء، والعبودية. وهجرة إلى رسوله ﷺ: بالتحكيم له، والتسليم والتفويض والانقياد لحكمه، وتلقي أحكام الظاهر والباطن من مشكاته؛ فيكون تعبده به أعظم من تعبد الركب بالدليل الماهر في ظلم الليل، ومتاهات الطريق. فمن لم يكن لقلبه هاتان الهجرتان؛ فليحث على رأسه الرماد، وليراجع الإيمان من أصله؛ فيرجع وراءه ليقتبس نورا قبل أن يحال بينه وبينه، ويقال له ذلك على الصراط من وراء السور، والله المستعان". **(مدارج السالكين:٢/ ٤٦٣).**

وقال ابن القيم أيضًا:" وأما الأدب مع الرسول ﷺ فالقرآن مملوء به، فرأس الأدب معه كمال التسليم له والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يحمله معارضة خيال باطل يسميه معقولًا، أو يحمله شبهة أو شكا، أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالات أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم، والانقياد والإذعان، كما وحد المُرْسِل بالعبادة والخضوع، والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المُرْسِل، وتوحيد متابعة الرسول فلا يُحاكم إلى غيره ". اهـ

وضرب لنا النبي ﷺ أمثلة تبين مصير كل من أطاعه ومصير من عصاه:

فقد أخرج البخاري من حديث جابر ﷺ قال: **" جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إلى النبيِّ ﷺ وهو نَائِمٌ، فَقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّه نَائِمٌ، وقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، والقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقالوا: إنَّ لِصَاحِبِكُمْ هذا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا له مَثَلًا، فَقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّه نَائِمٌ، وقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، والقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقالوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وبَعَثَ دَاعِيًا، فمَن أجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ، ومَن لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ ولَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ، فَقالوا: أوِّلُوهَا له يَفْقَهْهَا، فَقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّه نَائِمٌ، وقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، والقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقالوا: فَالدَّارُ الجَنَّةُ، والدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فمَن أطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أطَاعَ اللَّهَ، ومَن عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، ومُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بيْنَ النَّاسِ ".**

وأخرج البخاري ومسلم واللفظ لمسلم من حديث أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إنَّ مَثَلِي ومَثَلَ ما بَعَثَنِيَ اللَّهُ به كَمَثَلِ رَجُلٍ أتَى قَوْمَهُ، فقالَ: يا قَوْمِ إنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بعَيْنَيَّ، وإنِّي أنا النَّذِيرُ العُرْيانُ(١)، فالنَّجاءَ(٢)، فأطاعَهُ طائِفَةٌ مِن قَوْمِهِ، فأدْلَجُوا(٣) فانْطَلَقُوا علَى مُهْلَتِهِمْ، وكَذَّبَتْ طائِفَةٌ منهمْ فأصْبَحُوا مَكانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فأهْلَكَهُمْ واجْتاحَهُمْ(٤)، فَذلكَ مَثَلُ مَن أطاعَنِي واتَّبَعَ ما جِئْتُ به، ومَثَلُ مَن عَصانِي وكَذَّبَ ما جِئْتُ به مِنَ الحَقِّ.**

١- وإنِّي أنا النَّذِيرُ العُرْيَانُ: وهو إشارةٌ لشِدَّةِ الخَطرِ؛ بحيثُ كأنَّه نَزَع ثيابَه ليُنذِرَهم بالإشارةِ بثيابِه، أو هو رجُلٌ جَرَّده العدوُّ فهَرَبَ منهم مُنذِرًا قومَه، فعَلِموا من تَعرِيه صِدقَ خَبرِه؛ لأنَّهم كانوا يَعرِفونه ولا يَتَّهمونه في النَّصيحةِ، ولا جَرَت عادتُه بالتَّعرِّي، فقَطَعوا بصِدقِه لهذه القَرائنِ، ثُمَّ صارَ مَثَلًا لكلِّ ما يُخافُ مُفاجَأتُه، فضَرَبَ النَّبيُّ ﷺ لنَفسِه ولِما جاءَ به مَثَلًا بذلك؛ لِما أبداه منَ الخَوارِقِ والمُعجِزاتِ الدَّالَّةِ على القَطعِ بصِدقِه تقريبًا لإفهامِ المُخاطَبينَ بما يألَفونه ويَعرِفونه.

٢- فالنَّجاءَ: أي انجُوا النَّجاءَ، أو اطلُبوا النَّجاءَ. (شرح مسلم للنووي:١٥/ ٤٨).

٣- فأدلَجُوا، والدُّلجةُ هي الظُّلمةُ، والمَعنى: سارُوا من فُورِهم في أوَّلِ اللَّيلِ. (المُعْلِم بفوائد مسلم للمازَري:٣/ ٢١٤).

٤- واجْتَاحَهم: أي استَأصَلَهم. ومِنه الجائِحةُ التي تُفسِدُ الثِّمارَ وتُهلِكُها. (كشف المشكل لابن الجوزي:١/ ٤٠٩).

فضل طاعة النبي صلى الله عليه وسلم:

من شأن أهل الإيمان إذا دُعوا إلى الله ورسوله ﷺ أن يقولوا: سمعنا وأطعنا. **قال تعالى:** ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة النور: ٥١)

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦)

ثم فليُعْلَم إن طاعة هذا النبي الكريم ﷺ من طاعة الله ﷻ، **قال تعالى:** ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (سورة النساء: ٨٠)

١- وطاعة النبي ﷺ سبب الهداية والفلاح، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (سورة النور: ٥٤)

وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٨)

٢- وفي طاعته ﷺ حياة للقلوب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (سورة الأنفال: ٢٤)

٣- وطاعته ﷺ سبب للرحمة، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة: ٧١)

٤- وطاعة الرسول ﷺ سبب للفوز العظيم، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (سورة الأحزاب: ٧١)

٥- وطاعة النبي ﷺ واتباعه؛ فيها بركة وفضل، حيث نحظى بمحبة ربنا ﷻ، وتُغْفَر لنا ذنوبنا، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (سورة آل عمران: ٣١)

وهذه الآية حاكمةٌ على مَن ادَّعى محبة الله ﷻ، فلا يُتَصوَّر أن شخصًا يحب الله ﷻ ثم هو يعصي نبي الله ويخالف أمره ﷺ.

تعصي الإله وأنت تزعم حبَّه ... هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمَن يحب مطيع

٦- وطاعة الرسول ﷺ لا يُغْفَر بها الذنوب فقط، بل تكون سببًا لدخول الجنة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة النساء: ١٣)

وفي "صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " كُلُّ أُمَّتِي[1] يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَى، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَن يَأْبَى؟ قالَ: مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أَبَى ".

١- كُلُّ أُمَّتِي: قيل هي: أُمَّةُ الدَّعوةِ؛ وهي النَّاسُ كافَّةً، وعليه فالآبِي هو الكافِرُ بامتِناعِه عن قَبولِ الدَّعوةِ. وقيلَ: أُمَّةُ الإجابةِ؛ وهي التي آمَنَت بما جاءَ به وأقرَّت برِسالتِه، وعليه فالآبِي هو العاصي منهم، استَثناهم من دُخولِ الجَنَّةِ تَغليظًا وزَجرًا عنِ المَعاصي؛ فإن أُريدَ به عُصَاةُ المؤمِنينَ، فالمقصودُ استثناؤُهم من دُخولِ الجَنَّةِ من أوَّلِ وَهلةٍ، وإلَّا فمَآلُهمُ الجَنَّةُ، كما هي عَقيدةُ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ، وإن أُريدَ به الكُفَّارُ فهُم لن يَدخُلوا الجَنَّةَ أصلًا.

- وليست طاعته ﷺ سببًا في دخول الجنة فقط، بل ستكون رفيقًا له ﷺ في الجنة، ومع الأنبياء، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاء، وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا.

فقد ذكر القرطبي في "تفسيره" والبغوي بسنده: " أن ثَوْبَانَ مَوْلَى رسولِ اللهِ ﷺ شديدُ الحُبِّ له، قليلُ الصبرِ عنه، فأتاه ذاتَ يومٍ وقد تَغَيَّرَ لونُه، يُعْرَفُ الحُزْنُ في وجهِه، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: ما غَيَّرَ لَوْنَكَ؟ فقال: يا رسولَ اللهِ! ما بي مَرَضٌ ولا وَجَعٌ؛ غيرَ أني إذا لم أَرَكَ اسْتَوْحَشْتُ وَحْشَةً شديدةً حتى ألقاك، ثم إني إذا ذَكَرْتُ الآخِرَةَ أخافُ أَلَّا أراكَ لأنكَ تُرْفَعُ إلى عِلِّيِّينَ مع النَّبِيِّينَ؛ وإني إن دَخَلْتُ الجنةَ كنتُ في منزلةٍ أَدْنَى من منزلتِكَ، وإن لم أَدْخُلْها لم أَرَكَ أبدًا، فنزل قولُه تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (سورة النساء: ٦٩)، فدعاه فقرأها عليه ".

فاجعلوا طاعتكم للرسول إغاظة للكافرين وطاعة لرب العالمين، وعزًّا في الدنيا، ونجاة يوم الدين، وإياكم ومخالفته، فإن هذا يشرح صدور الكافرين، ويورث ذلًا في الدنيا، وعذابًا يوم الدين.

الأدب السادس: عدم مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم:

أوجَب الله سبحانه وتعالى على جميعِ الناس طاعة الرسول ﷺ فيما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، وحذَّرهم مِن مخالفة أمره ﷺ. **فقال تعالى:** ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (سورة النساء: ١١٥).

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة النور:٦٣).

قال القاضي عياض-رحمه الله-: وَمُخَالَفَة أمرِهِ وَتَبديل سنتهِ ضَلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب ". اهـ (كتاب الشفا:٢/١٦).

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الحشر: ٧)

أخرج الإمام مسلم من حديث عَبد اللهِ بن عُمَرَ-رضِيَ اللهُ عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تَمنَعوا نِساءَكُمُ المَساجِدَ إذا استأذَنَّكُم إليها". قال: فقال بلالُ بنُ عَبدِ اللهِ: واللهِ لنَمنَعُهنَّ! قال: فأقبَل عليه عَبدُ اللهِ فسَبَّه سَبًّا سَيِّئًا ما سَمِعتُه سَبَّه مِثلَه قَطُّ، وقال: أُخبِرُك عن رَسولِ اللهِ ﷺ وتَقولُ: واللهِ لنَمنَعُهنَّ!".

- ***وفي رِوايةٍ:*** " فضَرَبَ في صَدرِه وقال: أُحَدِّثُك عن رَسولِ اللهِ ﷺ، وتَقولُ: لا! ". (أخرجه مسلم).

أخرج البخاري ومسلم من حديث عبدِ اللهِ بنِ مُغَفَّلٍ ﷺ أنَّه رَأى رَجُلًا يَخذِفُ[1]، فقال له: لا تَخذِفْ؛ فإنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ نَهى عنِ الخَذفِ، أو كان يَكرَهُ الخَذفَ، وقال:" إنَّه لا يُصادُ به صَيدٌ ولا يُنكى به عَدوٌّ، ولكِنَّها قد تَكسِرُ السِّنَّ، وتَفقَأُ العَينَ". ثُمَّ رَآه بَعدَ ذلك يَخذِفُ، فقال له: أُحَدِّثُك عن رَسولِ اللهِ ﷺ أنَّه نَهى عنِ الخَذفِ أو كَرِهِ الخَذفَ وأنتَ تَخذِفُ! لا أُكَلِّمُك كَذا وكَذا ".

ومر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" كُلُّ أمَّتي يَدخُلونَ الجَنَّةَ إلَّا مَن أبى، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، ومَن يَأبى؟ قال: مَن أطاعَني دَخَل الجَنَّةَ، ومَن عَصاني فقَد أبى ".

قال الهروي في " ذم الكلام:٣/٥٤" عن الزبير بن بكار قال: حدثني سفيان بن عيينة قال: سمعت مالك بن أنس وأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله، من أين أحرم؟، قال: من ذي الحلَيفة، من حيث أحرم رسول الله ﷺ، فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر، قال: لا تفعل؛ فإني أخشى عليك الفتنة، فقال: وأي فتنة في هذه؟! إنما هي أميال أزيدها!! قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصَّرَ عنها رسول الله ﷺ؟ قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور:٦٣)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ:" مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ ".

أحبتي في الله... ما تعيشه الأُمَّة الآن من ذل وهوان، وواقع مبكٍ، وحال مرٍّ، لا يُرضِي أي حُر، والسبب هو: تأخُّر الناس عن التوبة والرجوع إلى الله تعالى، ومخالفة النبي ﷺ.

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" وجُعِلَ الذُّلُّ والصَّغارُ على من خالفَ أمري، ومن تشبَّه بقومٍ فهو منهم ". (صحيح الجامع: ٢٨٣١)

فلنعلم جميعًا أن ما نحن فيه الآن من الذلة والصغار ما هو إلا بمخالفة أوامر النبي العدنان ﷺ. وانظر الآن إلى كم المخالفات التي يقع فيها الناس.

قال الحسن البصري-رحمه الله- في شأن العصاة المخالفين لأمر رب العالمين والرسول الأمين ﷺ:" لو طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البرازين، فإن ذل المعصية سيدركهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه".

١ـ الخَذفُ، بالخاء المُعجَمةِ: رَميُك حَصاةً أو نَواةً تَأخُذُها بَينَ سَبَّابَتَيك، أو تَأخُذُ خَشَبةً فتَرمي بها بَينَ إبهامِك والسَّبَّابةِ. (جامع الأصول لابن الأثير:٧/ ٣٨).

وفي كتاب" الزهد" للإمام أحمد: " أن رجلًا جاء للحسن البصري، فقال له:" إني أريد سفرًا فزوِّدني، فقال له الحسن: ابن أخي، أعز أمرَ الله حيث كنت، يعزك الله، قال الرجل: فحفظت وصيته، فما كان بها أحد أعز مني حيث رجعت ".

وانظر إلى الصحابة-رضي الله عنهم-، لما خالفوا أمرًا واحدًا من أوامر النبي يوم أُحُد، كانت الهزيمة والانكسار. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (سورة آل عمران:١٥٥)

يقول السعدي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: " يخبر تعالى عن حال الذين انهزموا يوم أُحُد، وما الذي أوجب لهم الفرار، وأنه من تسويل الشيطان، وأنه تسلَّط عليهم ببعض ذنوبهم". اهـ

- **فعلينا جميعًا أن نعظّم أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ؛ حتى تعود لنا السيادة والقيادة.**

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ (سورة محمد:٧)

يقول السعدي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "هذا أمر منه تعالى للمؤمنين أن ينصروا الله بالقيام بدينه والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك نصرهم الله وثبت أقدامهم: أي يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، إن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر والثبات". اهـ

عاقبة مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وعصيانه:

١- عصيان الرسول ومخالفة أمره ﷺ مؤذنٌ بالعذاب الأليم، **قال تعالى:** ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة النور:٦٣)

٢- عصيان الرسول ومخالفة أمره ﷺ سبب الضلال المبين، **قال تعالى:** ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦)

٣- عصيان الرسول ومخالفة أمره ﷺ سبب دخول الجحيم عياذًا بالله منها، **قال تعالى:** ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (سورة النساء:١٤)

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة التوبة: ٦٣)

فالعِزُّ كلُّ العِزِّ في طاعة الرسول ﷺ.

الأدب السابع: ألا يُتقدّم بين يديه صلى الله عليه وسلم بأمر ولا نهي .

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة الحجرات: ١)

قال عبد الله بن عباسٍ-رضي الله عنهما-: وقوله تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي:" لا تقولوا خِلافَ الكتاب والسنَّة ". (تفسير الطبري:٢٤/ ٣٥٢).

وقال الطبري-رحمه الله- في الآية السابقة:" لا تعجلوا بقضاء أمرٍ في حروبكم أو دينكم، قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله ﷺ ". (تفسير الطبري:٢٢/ ٢٧٢).

وقال الحليمي-رحمه الله- في الآية السابقة:" والمعنى: لا تُقدِّموا قولًا أو فِعلًا بين يدي قولِ رسول الله ﷺ وفِعلِه فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمرِ دينٍ أو دنيا، بل أخِّروا أقوالكم وأفعالكم إلى أن يأمر رسول الله ﷺ في ذلك بما يراه؛ فإنكم إذا قدَّمتم بين يديه كنتم مُقدِّمين بين يدي الله عز وجل إذْ كان رسولُه لا يقضي إلاَّ عنه ". (المنهاج في شعب الإيمان:٢/ ١٢٧).

وقال أبو عبيدة-رحمه الله-: تقول العرب: لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب؛ أي لا تعجلوا بالأمر والنهي دونه. وقال غيره: لا تأمروا حتى يأمر، ولا تنهوا حتى ينهى.

وقال ابن القيم-رحمه الله-:" ألا يُتقدَّم بين يديه بأمر ولا نهي، ولا إذن ولا تصرف حتى يأمر هو وينهى ويأذن؛ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، وهذا باق إلى يوم القيامة، ولم يُنسخ، فالتَّقدُّم بين يدي سُنَّتِه بعد وفاته؛ كالتَّقدُّم بين يديه في حياته ولا فرق بينهما عند ذي عقل سليم". (مدارج السالكين:٢/ ٣٨٩).

وقال ابن القيم أيضًا-رحمه الله-:" ومن الأدب معه: أنهم إذا كانوا معه على أمرٍ جامعٍ؛ من خُطبة، أو جهاد، أو رباط، لم يذهب أحد منهم مذهَبًا في حاجته حتى يستأذنه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ (سورة النور:٦٢)، فإذا كان هذا مذهَبًا مُقيَّدًا بحاجة عارضةٍ لم يُوَسَّع لهم فيه إلاَّ بإذنه؛ فكيف بمَذهب مُطلَقٍ في تفاصيل الدِّين: أصولِه وفروعه، دقيقِه وجليلِه، هل يُشرع الذَّهابُ إليه بدون استئذانِه؟ (مدارج السالكين:٢/ ٣٨٩).

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" دَعوني ما تَرَكتُكُم، إنَّما هَلَكَ مَن كان قَبلَكُم بسُؤالِهم واختِلافِهم على أنبيائِهم، فإذا نَهَيتُكُم عن شيءٍ فاجتَنِبوه، وإذا أمَرتُكُم بأمرٍ فأتوا منه ما استَطَعتُم ".

ولهذا الحديثِ سببٌ ذكَرَه أبو هريرةَ ﷺ في روايةٍ أُخرى؛ حيث قال: خَطَبَنا رسولُ الله ﷺ فقال:" أيُّها النَّاسُ، إنَّ الله فرَض عليكم الحَجَّ فحُجُّوا"، فقال رجلٌ: أكلَّ عامٍ يا رسول الله؟ فسكَتَ حتى قالها ثلاثًا، فقال رسولُ الله ﷺ:" لو قلتُ: نعم، لَوَجَبَتْ، ولَمَا استطعتُم"، ثمَّ قال:" ذَرُونِي ما تَرَكتُكم"، والمرادُ: لا تُكثِروا الاستِفصالَ في المواضِعِ التي تُفِيدُ وجهًا ظاهرًا، وإنْ صلَحتْ لغيرِه؛ كما في قوله:" فحُجُّوا"، فإنَّه وإنْ أمكَنَ أن يُرادَ به التَّكرارُ، يَنبغي أن يُكتفَى منه بما يَصدُقُ عليه اللَّفظُ، وهو المَرَّةُ الواحدة، فإنَّها مفهومةٌ من اللَّفظِ قطعًا، وما زاد مشكوكٌ فيه، فيُعرَضُ عنه، ولا يُكثَرُ السُّؤالُ؛ لئلا يقَعَ الجوابُ بما فيه التَّعَبُ والمشقَّةُ،" إنَّما أهلَكَ مَن كان قبلَكم سؤالُهم"، أي: فإنَّما هلَكَتِ الأُممُ السَّابقةُ بسببِ كثرةِ أسئلتِهم لغيرِ حاجةٍ وضرورة،" واختلافُهم على أنبيائِهم"، أي: أنَّهم هلَكوا بسببِ كثرةِ سؤالهم، وكَثرةِ مُخالفتِهم، وعِصيانِهم لأنبيائهم،" فإذا نهيتُكم عن شيءٍ فاجتنِبوه"، أي: فإذا منَعتُكم عن شَيءٍ فلا تفعَلُوه، وابتعِدوا عنه كلِّه؛ إذ الامتثالُ لا يحصُلُ إلَّا بتركِ الجميع،" وإذا أمرتُكم بأمرٍ"، أي: وإذا طلبتُ منكم فِعلَ شيءٍ؛" فأْتُوا منه ما استطعتُم"، أي: فافعَلوا منه ما قدَرتُم عليه على قدرِ طاقتِكم واستطاعتِكم؛ وجوبًا في الواجبِ، وندبًا في المندوب. (الدرر السنية)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:" كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يُنَاظِرُ ابْنَ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- فِي الْمُتْعَةِ، فَقَالَ لَهُ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:" يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنْ السَّمَاءِ ! أَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟ ". اهـ (مجموع الفتاوى:٢٠/ ٢١٥)

تنبيه: لم يُذكر أثر ابن عباس-رضي الله عنهما- بهذا اللفظ في كتب السنة، ولكنه صحيح من حيث المعنى؛ *فقد أخرج الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، قَالَ:*" تَمَتَّعَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنِ الْمُتْعَةِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ-رضي الله عنهما-: مَا يَقُولُ عُرَيَّةُ؟ قَالَ: يَقُولُ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنِ الْمُتْعَةِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: أُرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ أَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، وَيَقُولُ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟ ".

ورواه الطحاوي في "شرح معاني الآثار:٢/ ١٨٩" عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ:" أَنَّ عُرْوَةَ قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَضْلَلْتَ النَّاسَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: وَمَا ذَاكَ يَا عُرَيَّةُ؟ قَالَ: تُفْتِي النَّاسَ أَنَّهُمْ إِذَا طَافُوا بِالْبَيْتِ فَقَدْ حَلُّوا, وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَجِيئَانِ مُلَبِّيَيْنِ بِالْحَجِّ فَلَا يَزَالَانِ مُحْرِمَيْنِ إِلَى يَوْمِ النَّحْرِ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: بِهَذَا ضَلَلْتُمْ؟ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتُحَدِّثُونِي عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؟ فَقَالَ عُرْوَةُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كَانَا أَعْلَمَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْكَ ".

قال الخطيب البغدادي-رحمه الله- معلقا على قول عروة: "**هُمَا وَاللَّهِ كَانَا أَعْلَمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَتْبَعَ لَهَا مِنْكَ**": قَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما عَلَى مَا وَصَفَهُمَا بِهِ عُرْوَةُ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَلَّدَ أَحَدٌ فِي تَرْكِ مَا ثَبَتَتْ بِهِ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ". اهـ **(الفقيه والمتفقه:١/ ٣٧٨).**

وقال الشيخ ابن باز-رحمه الله-: " معنى هذا: أن العبد يجب عليه الانقياد التام لقول الله تعالى، وقول رسوله، وتقديمهما على قول كل أحد، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة ". **(مجموع فتاوى ابن باز:١/ ٧٧)**

وقال ابن عثيمين-رحمه الله-: " لا يجوز لأحد من الناس أن يعارض كلام الرسول ﷺ بأي كلام، لا بكلام أبي بكر الذي هو أفضل الأمة بعد نبيها، ولا بكلام عمر الذي هو ثاني هذه الأمة بعد نبيها، ولا بكلام عثمان الذي هو ثالث هذه الأمة بعد نبيها، ولا بكلام علي الذي هو رابع هذه الأمة بعد نبيها، ولا بكلام أحد غيرهم؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ ". **(مجموع فتاوى ورسائل العثيمين:٥/ ٢٤٩).**

وقال ابن عبد البر-رحمه الله- في" الجامع:٢/١٢١٠": "**قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ:" مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ مُعَاوِيَةَ، أُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيُخْبِرُنِي بِرَأْيِهِ، لَا أُسَاكِنُكَ بِأَرْضٍ أَنْتَ بِهَا ".**

وقال ابن القيم-رحمه الله-: " ولقد خاطبت يومًا بعض أكابر هؤلاء- ممن يقدم آراء الرجال-، فقلت له: " سألتك بالله، لو قدر أن الرسول ﷺ حي بين أظهرنا، قد واجهنا بكلامه وبخطابه: أكان فرضًا علينا أن نتبعه من غير أن نعرضه على رأي غيره وكلامه ومذهبه، أم لا نتبعه حتى نعرض ما سمعناه منه على آراء الناس وعقولهم؟ فقال: بل كان الفرض المبادرة إلى الامتثال من غير التفات إلى سواه. فقلت: فما الذي نسخ هذا الفرض عنا؟ وبأي شيء نسخ؟ فوضع إصبعه على فيه وبقي باهتًا متحيرًا وما نطق بكلمة". **(مدارج السالكين:٢/ ٣٦٥)**

وقال أيضًا ابن القيم-رحمه الله- قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ **(آل عمران:١٠٤)** فخص هؤلاء بالفلاح دون من عداهم، والداعون إلى الخير هم الداعون إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، لا الداعون إلى رأي فلان وفلان ". اهـ **(إعلام الموقعين:٣/٥٢٤)**

وقال أيضًا ابن القيم-رحمه الله-: " وأما أن تترك السنن لقول أحد من الناس فلا، كائنا من كان". اهـ **(إعلام الموقعين:٣/٥٢٢)**

وقال أيضًا ابن القيم-رحمه الله-: " وترك الانتساب إلى أحد غير الله ورسوله ﷺ، لا شيخ، ولا طريقة، ولا مذهب، ولا طائفة ".اهـ **(مدارج السالكين:٢/١٩٧)**

وقال الإمام ابن حزم–رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء:٥٩)؛ فلم يبح الله تعالى الرد الى أحد عند التنازع دون القرآن وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ". (النبذ ص:١١٥)

قال العلامة الشيخ سليمان بن عبد الله–رحمه الله–: " أن الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل العلم، قد نهوا عن تقليدهم مع ظهور السنة ".اهـ (تيسير العزيز ص:٥٤٨)

قال ابن قدامة–رحمه الله– في" كتابه المغني:٢/٣٥٨: قَالَ أَبُو دَاوُد قِيلَ لِأَحْمَدَ وَأَنَا أَسْمَعُ: أُعْطِي دَرَاهِمَ – يَعْنِي فِي صَدَقَةِ الْفِطْرِ – قَالَ: أَخَافُ أَنْ لَا يُجْزِئَهُ خِلَافُ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: قَالَ لِي أَحْمَدُ لَا يُعْطِي قِيمَتَهُ، قِيلَ لَهُ: قَوْمٌ يَقُولُونَ، عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَ يَأْخُذُ بِالْقِيمَةِ، قَالَ يَدَعُونَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَقُولُونَ قَالَ فُلَانٌ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ –رضي الله عنهما–: فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾. وَقَالَ قَوْمٌ يَرُدُّونَ السُّنَنَ: قَالَ فُلَانٌ، قَالَ فُلَانٌ ".

الأدب الثامن: عدم الابتداع في دينه صلى الله عليه وسلم:

قال الإمام مالك–رحمه الله–: " كل ما لم يكن على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه دينًا لم يكن اليوم دينًا ".

وقال أيضًا: " من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ **لأن الله تعالى يقول:** ﴿اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾ (سورة المائدة:٣) فما لم يكن يومئذ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا ". (الاعتصام للشاطبي:١/٤٩)

والنبي ﷺ لم يكن خائنًا للرسالة، حيث قال في خطبة الوداع: " ألا هل بلغت؟" فقال الصحابة– رضي الله عنهم–: نعم. فقال:" اللهم فاشهد ". فشهد الصحابة له أنه بلغ ونصح وأرشد ودل.

فاللهم أحينا على سنته، وأمتنا على ملته، واحشرنا في زمرته.

فانظر إلى ما تتقرب به إلى الله، هل هو من شرع الله الحكيم؟ أم من اختراع المبتدعين؟

وكان ابن عمر–رضي الله عنهما– يقول: " كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة ".

فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: " مَن أحدَثَ في أمرِنا هذا ما ليس فيه فهو رَدٌّ". أي مردود عليه

(رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها)

وقال ﷺ: " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعَضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ". (صحيح أبي داود: ٤٦٠٧)

وفي هذين الحديثين تحذير شديد من إحداث البدع والعمل بها، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الحشر:٧) وقال تعالى: ﴿وَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة النور:٦٣) والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾(الشورى:٢١) فأي إنسان قد أوجب على نفسه أو على غيره ما لم يوجبه الله عليه، أو استحب ما لم يستحبه الله له ولرسوله، فقد اتخذ شريكًا لله ﷻ فكأنه شرع بشرع لم يأذن به الله، ولم يأذن به رسوله ﷺ".

وعلى هذا فكل من يأتي بجديد في هذا الدين، فقد اتهم الدين بالنقص، واتهم الرسول ﷺ بالخيانة في أداء الرسالة، وأن الرسول غفل أو نسي أو جَهِلَ ذلك فلم يبلغه لنا، والرسول ﷺ منزَّه عن كل هذا ومُبَرَّأ منه، فقد بلغ وأدَّى ونصح وأكمل الرسالة، وتركنا على المحجَّة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك".

وقال ابن القيم-رحمه الله- كما في" كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين": " فإن تركه ﷺ سنة، كما أن فعله ﷺ سنة، فإذا استحببنا فعل ما تركه، كان نظير استحبابنا ترك ما فعله، ولا فرق". اهـ

يا صاحب البدعة... **نقول لك كما قال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها:** فقال له: هل علمها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ أو لم يعلموها؟ فقال الرجل: لم يعلموها، قال محمد بن عبد الرحمن: فشيء لم يعلمه هؤلاء علمته أنت؟! قال الرجل: فإني أقول قد علموها، قال: أفوسعهم أن لا يتكلموا بها ولا يدعوا الناس إليها أم لم يسعهم؟ قال الرجل: بل وسعهم، قال: فشيء وسع رسول الله ﷺ وخلفاؤه لا يسعك أنت؟ فانقطع الرجل، فقال الخليفة وكان حاضرًا: لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم ".

قَالَ أَبُو عُثْمَانَ الحَيْرِي-رحمه الله-: مَنْ أَمَّرَ السُّنَّةَ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ، وَمَنْ أَمَّرَ الهَوَى عَلَى نَفْسِهِ نَطَقَ بِالبِدْعَةِ ". (حلية الأولياء:١٠/٢٤٤).

فليعلم كل صاحب بدعة... أنه كلما ازداد اجتهادًا في بدعته، ازداد بعدًا عن ربه.

فقد قال أيوب السختياني-رحمه الله-: " ما ازداد صاحب بدعة اجتهادًا إلا ازداد من الله ﷻ بعدًا.

يا صاحب البدعة... **لا تقحم نفسك في الهلاك.**

فقد أخرج الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: **" إني تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ".**

وأخرج البيهقي بسند صححه الألباني في إرواء الغليل عن سعيد بن المسيب–رحمه الله–: " أنه رأى رجلًا يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيها الركوع والسجود فنهاه، فقال: يا أبا محمد! أيعذبني الله على الصلاة؟! قال: لا. ولكن يعذبك على مخالفتك للسنة ".

أخي الحبيب... **عليك باتباع السنة ولا يضرك كثرة المخالفين.**

قال الفضيل بن عياض–رحمه الله–: " اتَّبِع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإيَّاك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين ".

كان الحسن البصري–رحمه الله– يقول: " يا ابن آدم... لو أن أهل الأرض جميعًا أطاعوا الله وعصيت أنت لن تنفعك طاعتهم. يا ابن آدم... لو أن أهل الأرض جميعًا عصوا الله وأطعت أنت لن تضرك معصيتهم ".

- **هدية لمن تمسك بالسنة في زمن الغربة.**

أخرج الترمذي من حديث أبي أمية الشعباني قال: **أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت: يا أبا ثعلبة كيف تقول في هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة:١٠٥). فقال: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال:" بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك أمر نفسك ودع عنك أمر العوام، فإن من ورائكم أيامًا، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيها مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله ".– وزاد في غيره – قال: يا رسول الله! أجر خمسين منهم؟ قال: " أجر خمسين منكم ".**

فإلى كل من يريد النجاة... **أقول لكم كما قال الزهري–رحمه الله–:**" الاعتصام بالسنة نجاة؛ لأن السنة كما قال مالك: مثل سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك ".

فعليكم أحبتي في الله... بالتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وإياكم والبدع والمحدثات فإنها من سبل الشيطان.

أخرج الإمام أحمد والنسائي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: **" خط لنا رسول الله ﷺ خطًا، ثم قال:" هذا سبيل الله، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله وقال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام:١٥٣)**

(رواه أحمد والنسائي والدارمي)

وقال مجاهد–رحمه الله–:وقوله تعالى: **﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ قال:**" البدع والشهوات ".

فالكتاب والسنة أصل السعادة في الدنيا والآخرة، والإعراض عنهما سبب للشقاء في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (سورة طه: ١٢٣،١٢٤)

أحبتي في الله... أقول لكم كما **قال الحسن البصري-رحمه الله-**:" السنة والذي لا إله إلا هو بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكذلك إن شاء الله فكونوا، فهؤلاء هم أهل السنة والجماعة والطائفة المنصورة إلى أن تقوم الساعة ".

وقد جاء في الصحيحين عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ".**

فنسأل الله ﷻ أن يجعلنا منهم، وأن يحشرنا في زمرتهم بمنِّه وكرمه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الأدب التاسع: التسليم لحُكم النبي صلى الله عليه وسلم والرِّضا به:

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة النساء: ٦٥)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: " ثم أقسم تعالى بنفسه الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله فيما شجر بينهم، أي: في كل شيء يحصل فيه اختلاف، بخلاف مسائل الإجماع، فإنها لا تكون إلا مستندة للكتاب والسنة، ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى ينتفي الحرج من قلوبهم والضيق، وكونهم يحكمونه على وجه الإغماض، ثم لا يكفي ذلك حتى يسلموا لحكمه تسليمًا بانشراح صدر، وطمأنينة نفس، وانقياد بالظاهر والباطن. فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان. فمَن استكمل هذه المراتب وكملها، فقد استكمل مراتب الدين كلها. فمَن ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له فهو كافر، ومَن تركه، مع التزامه فله حكم أمثاله من العاصين ".

وقال ابن القيم-رحمه الله-: " ومن الأدب معه: ألا يُستَشكل قوله؛ بل تُستشكل الآراء لقولِه، ولا يُعارض نصُّه بقياس؛ بل تُهدر الأقيسة وتُلقى لنصوصه، ولا يُحرَّف كلامُه عن حقيقتِه لخيالٍ يُسمِّيه أصحابُه معقولًا، نعم هو مجهول وعن الصواب معزول، ولا يُوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد، فكلُّ هذا من قِلَّةِ الأدب معه، وهو عين الجُرأة ". (مدارج السالكين:٢/ ٣٨٩).

وأخرج ابن حبان من حديث أبي برزة الأسلمي نضلة بن عبيد قال: أنَّ جُلَيْبيبًا كان امرأً مِن الأنصارِ وكان يدخُلُ على النِّساءِ ويتحدَّثُ إليهنَّ، قال أبو برزةَ: فقُلْتُ لامرأتي: لا يدخُلَنَّ عليكم جُليبيبٌ قال: فكان أصحابُ النَّبيِّ ﷺ إذا كان لأحدِهم أيِّمٌ لم يُزوِّجْها حتَّى يعلَمَ أللرَّسولِ ﷺ فيها حاجةٌ أم لا، فقال رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ لرجلٍ مِن الأنصارِ:" يا فلانُ زوِّجْني ابنتَك" قال: نَعم ونُعمى عينٍ قال:" إنِّي لسْتُ لنفسي أُريدُها"، قال: فلِمَن؟ قال:" لجُلَيبيبٍ"، قال: يا رسولَ اللهِ حتَّى أستأمِرَ أمَّها فأتاها فقال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يخطُبُ ابنتَكِ، قالت: نَعم ونُعمى عينٍ قال: إنَّه ليسَتْ لنفسِه يُريدُها قالت: فلِمَن يُريدُها؟ قال: لِجُليبيبٍ قالت: حَلْقى، أَلِجُليبيبٍ! قالت: لا لَعَمْرُ اللهِ لا أُزوِّجُ جُليبيبًا، فلمَّا قام أبوها ليأتيَ النَّبيَّ ﷺ قالت الفتاةُ مِن خِدرِها لأمِّها: مَن خطَبَني إليكما؟ قالا: رسولُ اللهِ ﷺ قالت: أترُدُّونَ على رسولِ اللهِ ﷺ أمرَه؟ ادفَعوني إلى رسولِ اللهِ ﷺ فإنَّه لن يُضيِّعَني فذهَب أبوها إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: شأنُكَ بها فزوَّجها جُليبيبًا، قال حمَّادٌ: قال إسحاقُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أبي طلحةَ: هل تدري ما دعا لها به؟ قال: وما دعا لها به؟ قال:" اللَّهمَّ صُبَّ الخيرَ عليهما صبًّا ولا تجعَلْ عيشَهما كدًّا"، قال ثابتٌ: فزوَّجها إيَّاه... ".

(وأخرجه مسلم وأحمد مختصرًا باختلاف يسير)

وانظر إلى عاقبة من لم يسلم للنبيﷺ:

أخرج الإمام مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " أنَّ رَجُلًا أكَلَ عِندَ رَسولِ اللهِ ﷺ بشِمالِه، فقال: كُلْ بيَمينِكَ، قال: لا أستَطيعُ، قال: لا استَطَعتَ، ما مَنَعَه إلَّا الكِبرُ، قال: فما رَفَعَها إلى فيه ".

وأخرج البخاري من حديث عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- أنَّ النَّبيَّ ﷺ دَخَلَ على أعرابيٍّ يَعودُه، قال: وكان النَّبيُّ ﷺ إذا دَخَلَ على مَريضٍ يَعودُه، قال: لا بَأسَ، طَهورٌ [1] إن شاءَ اللهُ، فقال له: لا بَأسَ، طَهورٌ إن شاءَ اللهُ، قال: قُلتَ: طَهورٌ؟ كَلَّا [2]، بَل هي حُمَّى تَفورُ -أو تَثورُ- على شَيخٍ كَبيرٍ، تُزيرُه القُبورَ [3]، فقال النَّبيُّ ﷺ: فنَعَم إذَنْ [4]".

وأخرج البخاري وأحمد من حديث المسيب بن حزن[5] أنَّ أباه جاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: ما اسمُكَ؟ قال: حَزْنٌ[6]، قال: أنتَ سَهلٌ. قال: لا أُغَيِّرُ اسمًا سَمَّانيه أبي[7]. قال ابنُ المُسَيِّبِ: فما زالَتِ الحُزونةُ فينا بَعدُ! [8]".

١- طَهورٌ: أي طهور لكَ مِن ذُنوبِكَ إن شاء اللهُ.
٢- فقال الأعْرابيُّ: لا، ليس بطَهورٍ، بلْ هي حُمَّى تَفورُ-أو قال: تَثورُ- أي: يَظهَرُ حَرُّها ووَهْجُها وغَلَيانُها.
٣- تُزيرُه القُبورَ: فتَكونُ نِهايتُها الموتَ، مِن: أزارَه؛ إذا حَمَلَه على الزِّيارةِ، فالمَعنى: لَيس كما رجَوْتَ لي مِن تَأخيرِ الوَفاةِ، بلْ يَكونُ المَوتُ مِن هذا المَرضِ هو الواقِعَ.
٤- فَنَعَمْ إذَنْ: وهذا تَقريرٌ مِن النَّبيِّ ﷺ لِما قاله الأعْرابيُّ، والمَعنى: أرشَدتُكَ بقَوْلي: لا بَأسَ عليكَ، إلى أنَّ الحُمَّى تُطهِّرُكَ وتُنقِّي ذُنوبَكَ، فاصبِرْ شُكرًا عليها، فأبَيْتَ إلَّا اليأسَ والكُفْرانَ، وما اكتفَيْتَ بذلك، بلْ رددْتَ نِعْمةَ اللهِ، فكان كما زَعَمْتَ، والأمرُ كما تقولُ، وقَضاءُ اللهِ كائنٌ لا مَحالةَ.
٥- حَزْنٍ ﷺ أنَّ أباه حَزْنَ بنَ أبي وَهْبٍ القُرَشيَّ المَخْزُوميَّ ﷺ جَدَّ التَّابعيِّ الجليلِ سَعِيدِ بنِ المُسَيِّبِ.
٦- الحَزْنُ: ما غَلُظ مِن الأرضِ وصعُب.
٧- وفي روايةٍ عند أبي داودَ:" أنَّه أجاب النَّبيَّ ﷺ بأنَّ السَّهلَ يُوطَأُ ويُمتهَنُ- يعني: يُداسُ بالأقدامِ ".
٨- فما زالَتِ الحُزُونَةُ: أي الصُّعوبةُ فينا بَعْدُ! يُريد: صُعوبةَ الأمورِ وامتِناعِ التَّسهيلِ فيما يُريدُ، وقِيلَ: يُريدُ الصُّعوبةَ في أخلاقِهم.

الأدب العاشر: الاهتداء بهدي النبيِّ صلى الله عليه وسلم واتخاذه القدوةَ الحسنة:

الهدي: هي الطريقة والسيرة، يقال: فلان يهدي هدي فلان: أي يفعل مثل فعله ويسير سيرته. فهدي النبي ﷺ: أي الطريقة التي كان يسير عليها رسول الله ﷺ في سمته وسلوكه وعبادته. وما أحسن هديه ﷺ.

وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ، يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ. وَيَقُولُ: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، وَيَقْرِنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ: أَمَّا بَعْدُ. فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ".

قال الإمام النووي-رحمه الله-: خير الهدي هدي محمد، أي أحسن الطرق طريق محمد ﷺ، يقال: فلان حسن الهدى، أي الطريقة والمذهب ". (صحيح مسلم بشرح النووي:٦/١٥٤).

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب:٢١)

قال ابن كثير-رحمه الله-: " هذه الآيةُ الكريمة أصلٌ كبير في التأسِّي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب، في صبرِه ومصابرته ومرابطته ومجاهدته، وانتظاره الفَرَجَ من ربه عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين؛ ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾؛ أي: هلا اقتديتم به وتأسَّيتم بشمائله؟". (تفسير ابن كثير:٣/١٣٣)

٢- ***وأخرج أبو داود عن العرباض بن سارية ﷺ قال:*** صلى لنا رسول الله ﷺ الفجر ثم أقبل علينا فوعظنا موعظةً بليغة ذرفت لها الأعين، ووجلت منها القلوب، قلنا: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع فأوصنا، قال:" أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن كان عبدًا حبشيًا، فإنه من يعشْ منكم بعدي يرى اختلافا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وإن كل بدعة ضلالة ".

وأخرج البخاري من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ قال: " كانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّا كُنَّا في جَاهِلِيَّةٍ وشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بهذا الخَيْرِ، فَهلْ بَعْدَ هذا الخَيْرِ مِن شَرٍّ؟ قالَ: نَعَمْ، قُلتُ: وهلْ بَعْدَ ذلكَ الشَّرِّ مِن خَيْرٍ؟ قالَ: نَعَمْ، وفيهِ دَخَنٌ، قُلتُ: وما دَخَنُهُ؟ قالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بغيرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ منهمْ وتُنْكِرُ، قُلتُ: فَهلْ بَعْدَ ذلكَ الخَيْرِ مِن شَرٍّ؟ قالَ: نَعَمْ، دُعَاةٌ إلى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَن أَجَابَهُمْ إلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا، قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ! صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقالَ: هُمْ مِن جِلْدَتِنَا، ويَتَكَلَّمُونَ بأَلْسِنَتِنَا، قُلتُ: فَما تَأْمُرُنِي إنْ أَدْرَكَنِي ذلكَ؟ قالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وإمَامَهُمْ، قُلتُ: فإنْ لَمْ يَكُنْ لهمْ جَمَاعَةٌ ولَا إمَامٌ؟ قالَ: فَاعْتَزِلْ تِلكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، ولو أَنْ تَعَضَّ بأَصْلِ شَجَرَةٍ، حتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وأَنْتَ علَى ذلكَ ".

قال أحدهم:

من يدعي حب النبي ولم يفد مـن هديـه فسفاهة وهـراءُ
فالحب أول شرطه، وفروضِهِ إن كان صدقًا: طاعةً ووفاءُ

وأخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما – قال: " رَأيتُ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ ﷺ يُقَبِّلُ الحَجَرَ ويقولُ: واللَّهِ، إنِّي لأُقَبِّلُكَ، وإنِّي أعلَمُ أنَّك حَجَرٌ، وأنَّكَ لا تَضُرُّ ولا تنفَعُ، ولَولا أنِّي رَأيتُ رَسولَ اللهِ ﷺ قَبَّلَكَ ما قَبَّلتُكَ ".

وأخرج البخاري عن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: اتَّخَذَ النَّبيُّ ﷺ خاتَمًا مِن ذَهَبٍ، فاتَّخَذَ النَّاسُ خَواتيمَ مِن ذَهَبٍ، فقال النَّبيُّ ﷺ: إنِّي اتَّخَذتُ خاتَمًا مِن ذَهَبٍ، فنَبَذَه، وقال: إنِّي لَن ألبَسَه أبَدًا، فنَبَذَ النَّاسُ خَواتيمَهم ".

أخرج أبو داود وأحمد من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: بينما رسولُ اللهِ ﷺ يصلِّي بأصحابِه إذ خلع نعلَيْه فوضعها عن يسارِه فلمَّا رأى ذلك القومُ خلعوا نِعالَهم, فلمَّا قضَى رسولُ اللهِ ﷺ صلاتَه قال: ما حملكم على إلقائِكم نِعالَكم؟ قالوا: رأيناك ألقَيْتَ نعلَيْك, فألقَيْنا نِعالَنا. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّ جبريلَ أتاني فأخبرني أنَّ فيهما قذَرًا. وقال: إذا جاء أحدُكم المسجدَ فلينظرْ: فإن رأَى في نعلَيْه قذَرًا, أو أذًى فليمسحْه وليصلِّ فيهما ".

أخرج البخاري من حديث البراء بن عازب ﷺ قال: " كان أوَّلَ ما قدِمَ المَدينةَ نَزَلَ على أجدادِه أو قال: أخوالِه مِنَ الأنصارِ، وأنَّه صَلَّى قِبَلَ بَيتِ المَقدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهرًا، أو سَبعةَ عَشَرَ شَهرًا، وكان يُعجِبُه أن تَكونَ قِبلَتُه قِبَلَ البَيتِ، وأنَّه صَلَّى أوَّلَ صَلاةٍ صَلَّاها صَلاةَ العَصرِ، وصَلَّى معهُ قَومٌ فخَرَجَ رَجُلٌ ممَّن صَلَّى معهُ، فمَرَّ على أهلِ مَسجِدٍ وهم راكِعونَ، فقال: أشهَدُ باللهِ لقد صَلَّيتُ مع رَسولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ، فداروا كما هُم قِبَلَ البَيتِ، وكانَتِ اليَهودُ قد أعجَبَهم إذ كان يُصَلِّي قِبَلَ بَيتِ المَقدِسِ، وأهلُ الكِتابِ، فلَمَّا ولَّى وجهَه قِبَلَ البَيتِ أنكَروا ذلك ".

وأخرج أبو داود وأحمد من حديث قرة بن إياس المزني ﷺ قال: " أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ في رَهْطٍ من مُزَيْنةَ، فَبايعناهُ، وإنَّ قميصَهُ لمطلقُ الأزرارِ[1]، قالَ: فبايعتُهُ ثمَّ أدخلتُ يديَّ في جيبِ قميصِهِ[2] فمَسِسْتُ الخاتمَ قالَ عروةُ: فما رأيتُ معاويةَ ولا ابنَهُ قطُّ إلَّا مُطْلَقِي أزرارِهِما في شتاءٍ، ولا حَرٍّ ولا يزرّرانِ أزرارَهُما أبدًا ". (صحيح أبي داود: ٤٠٨٢) (صحيح الترغيب والترهيب:٤٥)

وفي الحديثِ: بَيانُ تَحَرِّي الصَّحابةِ مُتابَعَةَ النَّبيِّ ﷺ.

١- مُطْلَقُ الأَزْرَارِ: أي إنَّ أَزْرارَ القَميصِ غيرِ مَربوطةٍ.
٢- جِيْبِ قَميصِه: وَجَيْبُ القَميصِ هو فَتْحَةٌ تكونُ في الثَّوْبِ من أَعَلاهُ لتُدخَل فيه الرَّأس.

أخرج الإمام أحمد من حديث مجاهد قال: **" كنا معَ ابنِ عمرَ -رضي الله عنهما- في سفرٍ فمرَّ بمكانٍ فحاد عنه [1] فسُئِل لِمَ فعلت؟ فقال: رأيت رسولَ اللهِ ﷺ فعل هذا ففعلت ".** (صحيح الترغيب والترهيب:٤٦)

ويدل هذا الحديث على الاقتداء الكامل بالنبي ﷺ: ويظهر هذا في حرص ابن عمر-رضي الله عنهما- على متابعة النبي ﷺ حتى في الأمور التي قد تبدو صغيرة أو غير مهمة، لأنه يعلم أن كل فعل لرسول الله ﷺ فيه حكمة وقدوة. وقد لا نعرف الحكمة من بعض أفعال النبي ﷺ، ولكننا نقتدي به لأنه المبلغ عن الله تعالى، وقد يكون في ذلك الخير والبركة.

وأخرج الْبَزَّارُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ-رضي الله عنهما- **أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي شَجَرَةً بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَيَقِيلُ تَحْتَهَا ، وَيُخْبِرُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ ".** (صحيح الترغيب والترهيب:٤٧)

وَأخرج الإمام أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: **كُنْتُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ-رضي الله عنهما- بِعَرَفَاتٍ، فَلَمَّا كَانَ حِينَ رَاحَ رُحْتُ مَعَهُ حَتَّى أَتَى الْإِمَامُ فَصَلَّى مَعَهُ الْأُولَى وَالْعَصْرَ، ثُمَّ وَقَفَ وَأَنَا وَأَصْحَابٌ لِي حَتَّى أَفَاضَ الْإِمَامُ، فَأَفَضْنَا مَعَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمَضِيقِ دُونَ الْمَأْزِمَيْنِ فَأَنَاخَ، فَأَنَخْنَا وَنَحْنُ نَحْسَبُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُصَلِّيَ، فَقَالَ غُلَامُهُ الَّذِي يُمْسِكُ رَاحِلَتَهُ: إِنَّهُ لَيْسَ يُرِيدُ الصَّلَاةَ، وَلَكِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا انْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَكَانِ قَضَى حَاجَتَهُ ، فَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَقْضِيَ حَاجَتَهُ ".** (صحيح الترغيب والترهيب:٤٨)

وهذه النصوص التي ذُكرت نموذج لاستجابة الصحابة-رضي الله عنهم- لرسول الله ﷺ والاقتداء بفعله وتنفيذ أمره. وهناك نصوص أخرى كثيرة يصعب حصرها في هذا المقام والتي تدل على أنّ الصحابة -رضوان الله عنهم- كانوا يحرصون على الاقتداء بالنبي ﷺ في كل فعل من أفعاله إذا لم يكن هناك خصوصية، حتى ولو لم يأمرهم بذلك الفعل.

وكثير من الشباب قد انسلخ من هويته الإسلامية، وراح يُقلِّد ويتابع شرَّ البرية:

في هذا الزمان لما غاب القدوة والمثل الأعلى، لم يجد الشباب إلا أن يقلدوا غير المسلمين أو الساقطين والساقطات في الملبس والهيئة... وفي كل شيء، ***وهذا ما أخبر به النبي ﷺ حيث قال:*** **" لَتَتَّبِعُنّ سنن مَن كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله،! اليهود والنصارى؟ قال: فمَن!".** أي مَن غيرهم؟ (أخرجه البخاري)

فأصبح شبابنا كشبابهم، ونساؤنا كنسائهم. فكلُّ ما نراه الآن من تخلُّف مهين، وضعف مقيت بسبب بعدنا عن ديننا وهويتنا الإسلامية، إن تاريخ الأُمَّة يثبت أن عزَّة هذه الأُمَّة، وعلوها ورفعة شأنها، يكون مع تمسُّكها بإسلامها، واتِّباعها لهدي نبيها ﷺ.

---

١ ـ حاد عنه: يعني أي تنحى وانحرف وابتعد عن ذلك المكان أو الطريق.

- *وصدق الفاروق عمر ﷺ حيث قال:* " كُنَّا أذلَّ قومٍ فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزَّ في غيره أذلَّنا الله".

- *وفي حديث القنوت الذي علَّمه النبي ﷺ للحسن، وفيه:* " إنه لا يذلُّ مَن واليت، ولا يعز مَن عاديت، تباركت ربنا وتعاليت". (أخرجه الترمذي)

فالسيادة والقيادة لا تعود إلينا إلا بعد الرجوع إلى ربنا والصلح معه. والاهتداء بهدي نبينا ﷺ.

فنريد من شبابنا أن يتجهوا صوب المعالي، وأن يسلكوا سبل الرشاد، وأن يديروا ظهورهم لهذا السيل الغازي من الأفكار الوافدة التي تتعارض مع ديننا وقيمنا وأخلاقنا.

إننا اليوم في حاجة شديدة إلى الشباب المؤمن، الذي يشعر بواجبه تجاه دينه وأمته، شباب يعلم ما عليه من واجبات، وما له من حقوق. نريد شبابنا يعتز بدينه وينصح لأمته:

شباب الجيل للإسلام عودوا ... فأنتم روحــه وبكم يسودُ

وأنتم سِرُّ نهضتـه قديمًا ... وأنتم فجْرُه الزاهي الجديد

فعد أيها الشاب إلى هويتك ودينك؛ حتى نصنع معًا فجرًا جديدًا، ونعيد معًا لأُمَّتنا مجدًا تليدًا.

وعليك أن تقتدي بالنبي ﷺ؛ لتحاول أن تتشبه به؛ في عبادته، وفي هيئته، وفي كلامه، وطعامه وشرابه، وفي كل شيء، فمن تشبه بقوم فهو منهم.

وقد كان قتادة بن دعامة الدوسي- وهو صاحب أنس بن مالك ﷺ- يجلس معه ذات مرة، فقيل لأنس ﷺ: صف لنا شعر رسول الله ﷺ، فقال: كان كشعر قتادة، فبكى قتادة من الفرح ".

وبكاء قتادة كان لأنه وافق شيئًا من أوصاف الرسول ﷺ.

قال القاضي عياض-رحمه الله-: " اعلم أن من أحب شيئًا آثره وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيًا، فالصادق في حب النبي ﷺ من تظهر علامة ذلك عليه، وأولها: الاقتداء به واستعمال سنته، واتباع أقواله وأفعاله، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه، وشاهد هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران:٣١) ".

الأدب الحادي عشر: توقير وتبجيل النبي صلى الله عليه وسلم:

أمر الله تعالى عباده بالتأدب مع النبي ﷺ وتوقيره، **قال تعالى:** ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا(٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفتح: ٨، ٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: " إن الله فرض علينا تعزير رسوله وتوقيره، وتعزيره: نصره ومنعه، وتوقيره: إجلاله وتعظيمه، وذلك يوجب صون عرضه بكل طريق، بل ذلك أول درجات التعزير والتوقير". (الصارم المسلول ص:١٦٩)

وقال ابن كثير-رحمه الله-: " والتوقير: هو الاحترام والإجلال والإعظام ". (تفسير ابن كثير:٣١٢/٧)

وقال السعدي-رحمه الله- :" وقوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾:" أي تُعظِّموه وتُجِلُّوه، وتقوموا بحقوقه ﷺ".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: " إن قيام المدحة والثناء عليه والتوقير له ﷺ قيام الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله..".

وَقَالَ سَهْلُ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ-رحمه الله-: " أُصُولُنَا سِتَّةُ أَشْيَاء: التَّمَسُّكُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالاقْتِدَاءُ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَكْلُ الحَلَالِ، وَكَفُ الْأَذَى، وَاجْتِنَابُ الآثامِ، وَالتَّوْبَةُ، وَأَدَاءُ الحَقُوقِ ".

(حلية الأولياء:١٠/ ١٩٠) (شذرات الذهب:٢/ ١٨٣)

أمثلة على توقير وتعظيم الصحابة للنبي ﷺ

في حديث طويل أخرجه البخاري عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمة قال- وهو يتحدث عن صلح الحديبية-: قال عروةُ بنُ مسعودٍ إلى أصحابِه عندما رجع من عند النبي ﷺ: " أيْ قومِ واللهِ لقد وفَدْتُ إلى الملوكِ ووفَدْتُ إلى كسرى وقيصرَ والنَّجاشيِّ واللهِ ما رأَيْتُ ملِكًا قطُّ يُعظِّمُه أصحابُه ما يُعظِّمُ أصحابُ محمَّدٍ محمَّدًا، واللهِ إنْ يتنخَّمُ نُخامةً إلَّا وقَعت في كفِّ رجُلٍ منهم فدلَك بها وجهَه وجِلْدَه وإذا أمَرهم ابتدَروا أمرَه وإذا توضَّأ اقتتلوا على وَضوئِه وإذا تكلَّم خفَضوا أصواتَهم عندَه وما يُحِدُّون إليه النَّظرَ تعظيمًا له وإنَّه قد عرَض عليكم خُطَّةَ رُشدٍ فاقبَلوها....".

وأخرج الإمام مسلم عن عمرو بن العاص ﷺ في حديث إسلامه وفيه:"... وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ. وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ، لأَنِّي لَمْ أَكُنْ أملأُ عَينَيَّ منه... ".

قال أبو رزين-رحمه الله-: قيل للعباس ﷺ: أنت أكبر أو النبي ﷺ؟ قال:" هو أكبر وأنا ولدت قبله ".

(سير أعلام النبلاء" للإمام الذهبي:٢ /٨٠)

وأخرج البخاري في" الأدب المفرد" والبزار من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: " إن أبواب النبي ﷺ كانت تُقْرَعُ بِالأَظافِيرِ". (الصحيحة:٢٠٩٢) (صحيح الجامع: ٤٨٠٥)

فكانَ إذا أرادَ أحَدُهُم شَيئًا مِنَ النَّبيِّ ﷺ ذهَبَ وطرَقَ بابَهُ بسُنونِ أظافِرِ اليَدِ طَرْقًا خَفيفًا من شِدَّةِ تأدُّبِهِم واحترامِهِم، وتَوْقيرًا لِذاتِهِ الشَّريفةِ، بحيثُ لا يُزعَجُ.

ومن مظاهر توقير النبي صلى الله عليه وسلم عدم رفع الصوت فوق صوته:

فقد نهى الله تعالى عن ذلك وجعله محبطًا للعمل، **قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (سورة الحجرات:٢)

قال ابن كثير–رحمه الله–: " هذا أدب ثانٍ أدَّب الله به المؤمنين، ألاَّ يرفعوا أصواتهم بين يدي النَّبي ﷺ".

(تفسير ابن كثير:٧/ ٣٦٥)

قال ابن القيم–رحمه الله–:"ومن الأدب معه: ألا تُرفع الأصوات فوق صوته؛ فإنه سبب لحبوط الأعمال، فما الظنُّ برفع الآراءِ ونتائجِ الأفكارِ على سُنَّتِه وما جاء به، أترَى ذلك موجبًا لقبول الأعمال، ورفعُ الصَّوت فوق صوته مُوجِبًا لِحُبوطِها ". (مدارج السالكين:٢/ ٣٨٩).

وسبب نزول هذه الآية ما راوه البخاري من حديث عبد الله بن أبي مليكة قال: كادَ الخَيِّرانِ أن يَهلِكا: أبو بَكرٍ وعُمَرُ رَضيَ اللهُ عنهما؛ رَفَعا أصواتَهما عِندَ النَّبيِّ ﷺ حينَ قدِمَ عليه رَكبُ بَني تَميمٍ، فأشارَ أحَدُهما بالأقرَعِ بنِ حابِسٍ أخي بَني مُجاشِعٍ، وأشارَ الآخَرُ برَجُلٍ آخَرَ– قال نافِعٌ: لا أحفَظُ اسمَه– فقال أبو بَكرٍ لعُمَرَ: ما أرَدتَ إلَّا خِلافي! قال: ما أرَدتُ خِلافَكَ، فارتَفَعَت أصواتُهما في ذلك، فأنزَلَ اللهُ: ﴿يا أيُّها الذينَ آمَنوا لا تَرفَعوا أصواتَكُم﴾ (الحجرات:٢) الآيةَ. قال ابنُ الزُّبَيرِ: فما كان عُمَرُ يُسمِعُ رَسولَ اللهِ ﷺ بَعدَ هذه الآيةِ حتَّى يَستَفهِمَه [1] ".

– *وفي رواية:*" أنَّه قدِمَ رَكبٌ مِن بَني تَميمٍ على النَّبيِّ ﷺ، فقال أبو بَكرٍ: أمِّرِ القَعقاعَ بنَ مَعبَدِ بنِ زُرارةَ، قال عُمَرُ: بَل أمِّرِ الأقرَعَ بنَ حابِسٍ، قال أبو بَكرٍ: ما أرَدتَ إلَّا خِلافي! قال عُمَرُ: ما أرَدتُ خِلافَكَ، فتَمارَيا حتَّى ارتَفَعَت أصواتُهما، فنَزَلَ في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾

(رواه البخاري عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما)

١ـ حتَّى يَستَفهِمَه: أي كان عمر يخفض صوته عند النبي ﷺ حتى يسأله النبي ﷺ:" ماذا تقول".

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ..﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ. فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فَقَالَ:" يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ اشْتَكَى؟!"، قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى. قَالَ فَأَتَاهُ سَعْدٌ فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ! فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ".

– *وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ:* " فَكُنَّا نَرَاهُ يَمْشِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ".

- **وفي مجال التأدّب مع الرسول ﷺ جاء التنبيه في القرآن الكريم على ضرورة عدم مناداته بطريقة جافة ومزعجة بل لا بد من مراعاة مقامه وقدره وبالأخص عندما يكون في بيته مع نسائه وأولاده.**

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ(٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات:٥،٤).

وعن الأقرع بن حابس ﷺ أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اخرج إلينا، فلم يجبه، فقال: يا محمد إن حمدي زين وإنّ ذمي شين، فقال: فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾

(الدر المنثور بالتفسير بالمأثور للسيوطي:٥٥٢/٧، وقال السيوطي: رواه أحمد والطبراني وغيرهما بسند صحيح)

وتوقير وتعظيم النبي ﷺ يكون حتى بعد وفاته:

وعدم رفع الصوت فوق صوته ﷺ من الآداب الواجبة في حياته وبعد مماته سواء كان ذلك بحضرته أو بعد مماته في مسجده أو عند قبره أو تجاه سنّته وأحكام شريعته؛ فإن رفع آراء البشر وأقوالهم ومذاهبهم على سنته من الجفاء؛ بل هو أكبر بكثير من مجرّد رفع الصوت عنده ﷺ.

وقد أنكر عمر ﷺ على مَنْ رفع صوته في مسجده ﷺ:

فقد أخرج البخاري عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَحَصَبَنِي [١] رَجُلٌ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا. قَالَ: مَنْ أَنْتُمَا – أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ قَالاَ: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ. قَالَ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لأَوْجَعْتُكُمَا [٢]، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ!

قال ابن رجب–رحمه الله–: " إنما فرق عمر ﷺ بين أهل المدينة وغيرها في هذا؛ لأن أهل المدينة لا يخفى عليهم حرمة مسجد رسول الله ﷺ وتعظيمه، بخلاف من لم يكن من أهلها؛ فإنه قد يخفى عليه مثل هذا القدر من احترام المسجد، فعفى عنه بجهله". اهـ (فتح الباري:٣/٣٩٥).

١ـ فحصَبني: أي رمَاني بالحصباء، وهي الحجارة الصغيرة.
٢ـ لأوجعتُكما: أي جلدتُكما حتى أوجعتكما.

قال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره، كما كان يكره في حياته؛ لأنه محترم حيًّا وفي قبره، صلوات الله وسلامه عليه ". اهـ (تفسير ابن كثير:٧/ ٣٦٧).

وقال ابن عطية-رحمه الله- في تفسيره:٥/١٤٥": وكره العلماء رفع الصوت عند قبر النبي ﷺ. وبحضرة العالم، وفي المساجد". اهـ

وقال القرطبي-رحمه الله- في تفسيره:١٦/ ٣٠٧": عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الحجرات:٣) قال القاضي أبو بكر بن العربي: حرمة النبي ﷺ ميتًا كحرمته حيًا، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثال كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه، وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به، وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره عليه السلام. وكره بعض العلماء رفع الصوت في مجالس العلماء تشريفا لهم، إذ هم ورثة الأنبياء". اهـ

وقال الأمين الشنقيطي-رحمه الله-: "ومعلوم أن حرمة النبي ﷺ بعد وفاته، كحرمته في أيام حياته. وبه تعلم: أن ما جرت به العادة اليوم من اجتماع الناس قرب قبره ﷺ وهم في صخب ولغط، وأصواتهم مرتفعة ارتفاعا مزعجا؛ كله لا يجوز، ولا يليق، وإقرارهم عليه من المنكر، وقد شدد عمر ﷺ النكير على رجلين رفعا أصواتهما في مسجده ﷺ". اهـ (أضواء البيان:٧/٤٠٣).

وقال الشيخ ابن باز-رحمه الله-: "وأما ما يفعله بعض الزوار من رفع الصوت عند قبره ﷺ، وطول القيام هناك فهو خلاف المشروع؛ لأن الله سبحانه نهى الأمة عن رفع أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ، وعن الجهر له بالقول كجهر بعضهم لبعض، وحثهم على غض الصوت عنده... ولأن طول القيام عند قبره ﷺ، والإكثار من تكرار السلام يفضي إلى الزحام وكثرة الضجيج وارتفاع الأصوات عند قبره ﷺ، وذلك يخالف ما شرعه الله للمسلمين في هذه الآيات المحكمات، وهو ﷺ محترم حيًّا وميتا، فلا ينبغي للمؤمن أن يفعل عند قبره ما يخالف الأدب الشرعي". اهـ (مجموع فتاوى ابن باز:١٦/١٠٨).

وقال الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله-: "من تمام الأدب: ألا يرفع الإنسان صوته عند قبر النبي ﷺ" اهـ (لقاء الباب المفتوح:١١٠/١٥)

يستثنى مما سبق رفع الصوت للحاجة والمصلحة المعتبرة؛ لأن القاعدة عند العلماء أن الكراهة تزول بالحاجة. فكل رفع للصوت، لا مصلحة فيه شرعا: فهو منهي عنه، وكل رفع للصوت بسبب الحاجة أو المصلحة: فهو مباح. وذلك أن بعض الصحابة رفعوا أصواتهم ليسمعهم النبي ﷺ وهو على المنبر.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أنس ﷺ قال: **" كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقام إليه الناس فصاحوا، وقالوا: يا نبي الله! قُحِط المطر، واحمر الشجر، وهلكت البهائم".** وأقرهم النبي ﷺ، ودعا لهم.

قال ابن رجب-رحمه الله-:" **ورفع الأصوات في المسجد على وجهين: أحدهما:** أن يكون بذكر الله وقراءة القرآن والمواعظ وتعليم العلم وتعليمه، فما كان من ذلك لحاجة عموم أهل المسجد إليه، مثل الأذان والإقامة وقراءة الإمام في الصلوات التي يجهر فيها بالقراءة، فهذا كله حسن مأمور به. وقد كان النبي ﷺ إذا خطب علا صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول:" صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ". وكان إذا قرأ في الصلاة بالناس تُسْمَع قراءتُه خارج المسجد، وكان بلال يؤذن بين يديه، ويقيم في يوم الجمعة في المسجد... وما لا حاجة إلى الجهر فيه، فإن كان فيه أذى لغيره ممن يشتغل بالطاعات، كمن يصلي لنفسه ويجهر بقراءته، حتى يغلط من يقرأ إلى جانبه... فإنه منهي عنه.

وقد خرج النبي ﷺ ليلة على أصحابه وهم يصلون في المسجد ويجهرون بالقراءة، *فقال* ﷺ:" إلا إن كُلَّكُمْ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلَا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ".(أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي من حديث أبي سعيد)

- *وفي رواية:*" فَلَا يُؤْذِ بَعْضكُم بَعْضًا، وَلَا يَرْفَعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِرَاءَةِ ".

وكذلك رفع الصوت بالعلم، زائدا على الحاجة: مكروه عند أكثر العلماء... **الوجه الثاني:** رفع الصوت بالاختصام ونحوه من أمور الدنيا، فهذا هو الذي نهى عنه عمر وغيره من الصحابة. ويشبه: إنشاد الضالة في المسجد، وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ كراهته والزجر عنه، من رواية أبي هريرة وبريدة. وأشد منه كراهة: رفع الصوت بالخصام بالباطل في أمور الدين؛ فإن الله ذم الجدال في الله بغير علم، والجدال بالباطل، فإذا وقع ذلك في المسجد ورفعت الأصوات به تضاعف قبحه وتحريمه ...". اهـ

(فتح الباري لابن رجب:٣/ ٣٩٧)

- **ورفع الصوت عند سماع حديث رسول الله ﷺ؛ وهذا خلاف الأدب مع النبي ﷺ.**

يقول ابن العربي-رحمه الله-:" حرمة النبي ﷺ ميتًا كحرمته حيًا وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به، وقد نبّه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾ (الأعراف:٢٠٤) وكلام النبي ﷺ من الوحي وله الحرمة مثل ما للقرآن إلاّ معاني مستثناة بيانها في كتب الفقه. والله أعلم ". اهـ

(أحكام القرآن لابن العربي:٤/١٧٠٢)

قال الحافظ حماد بن زيد-رحمه الله-: في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾. قال: أرى رفع الصوت عليه بعد موته، كرفع الصوت عليه في حياته؛ فإذا قُرِئ حديث رسول الله ﷺ، وجب عليك أن تنصت له كما تنصت للقرآن".

(سير أعلام النبلاء:٧/٤٦٠) (رواه الهروي في" ذم الكلام":٤/ ١٨٣)

وقال الهروي أيضًا في المصدر السابق عن حماد بن زيد: " كان حماد إذا حدث، فرآنا نتكلم: لم يحدثنا، وقال: أخاف أن يكون هذا داخلا في قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ ".

وقال السيوطي-رحمه الله- في" تدريب الراوي:٢/ ٥٧٣": " فإن رفع أحد صوته في المجلس زبره- أي انتهره وزجره-؛ فقد كان مالك يفعل ذلك أيضا، ويقول: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ فمن رفع صوته عند حديثه؛ فكأنما رفع صوته فوق صوته". اهـ

تنبيه: ما سبق من كلام أهل العلم في خفض الصوت والإنصات عند سماع حديث رسول الله ﷺ، فهذا ليس على سبيل الوجوب والإلزام، بل هو مستحب ومن باب الأدب مع حديث رسول الله ﷺ، وما ذكره حماد-رحمه الله- من وجوب الإنصات، اجتهاد منه، وإلا فإن القرآن خارج الصلاة لا يجب الإنصات له عند جمهور العلماء[1].

وقد سئل الشيخ عبد العزيز الراجحي حفظه الله: " هل رفع الصوت عند سماع حديث الرسول ﷺ، كرفع الصوت بحضرته؟

فأجاب: " لا، لكنه ينبغي التأدب مع حديث الرسول ﷺ". اهـ (فتاوى منوعة:١/ ٣٩).

١ـ قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره:٣/٥٣٧:"وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية: قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (سورة الأعراف:٢٠٤)؛ يعني في الصلاة المفروضة، وكذا روي عن عبد الله بن المغفل.
وقال ابن جرير: حدثنا حميد بن مسعدة، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا الجريري عن طلحة بن عبيد الله بن كريز قال: رأيت عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح يتحدثان، والقاص يقص، فقلت: ألا تستمعان إلى الذكر، وتستوجبان الموعود؟ قال: فنظرا إلي، ثم أقبلا على حديثهما. قال: فأعدت، فنظرا إلي، وأقبلا على حديثهما. قال: فأعدت الثالثة. قال فنظرا إلي، فقالا: إنما ذلك في الصلاة: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وكذا قال سفيان الثوري، عن أبي هشام إسماعيل بن كثير، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، قال: في الصلاة ".
وكذا قال سعيد بن جبير والضحاك وإبراهيم النخعي وقتادة والشعبي والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: أن المراد بذلك في الصلاة ". اهـ
فإذا لم يجب الإنصات عند سماع القرآن، خارج الصلاة؛ فأولى ألا يجب الإنصات عند سماع الحديث، بل هو مستحب، ومن حسن الأدب مع النبي ﷺ

الأدب الثاني عشر: تقديم ما يحبه النبي ﷺ على ما تحبه النفس وتهواه:

ومن الأدب مع النبي ﷺ محبة ما يحب.

فكل من قدم ما تحبه نفسه وتهواه، على ما جاء به النبي ﷺ فهو متبعًا لهواه، حيث يقول رب العالمين في كتابه الكريم: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة القصص: ٥٠)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ نَزَلَ عليه، فنَزَلَ النَّبيُّ ﷺ في السُّفلِ، وأبو أيُّوبَ في العُلوِ، قال: فانتَبَهَ أبو أيُّوبَ لَيلةً، فقال: نَمشي فوقَ رَأسِ رَسولِ اللهِ ﷺ! فتَنَحَّوا فباتوا في جانِبٍ، ثُمَّ قال للنَّبيِّ ﷺ، فقال النَّبيُّ ﷺ: السُّفلُ أرفَقُ، فقال: لا أعلو سَقيفةً أنتَ تَحتَها، فتَحَوَّلَ النَّبيُّ ﷺ في العُلوِ، وأبو أيُّوبَ في السُّفلِ، فكانَ يَصنَعُ للنَّبيِّ ﷺ طَعامًا، فإذا جيءَ به إليه سَألَ عن مَوضِعِ أصابِعِه، فيَتَتَبَّعُ مَوضِعَ أصابِعِه، فصَنَعَ له طَعامًا فيه ثومٌ، فلَمَّا رُدَّ إليه سَألَ عن مَوضِعِ أصابِعِ النَّبيِّ ﷺ، فقيلَ له: لم يَأكُلْ، ففَزِعَ وصَعِدَ إليه، فقال: أحَرامٌ هو؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: لا، ولَكِنِّي أكرَهُه، قال: فإنِّي أكرَهُ ما تَكرَه – أو ما كَرِهتَ– قال: وكانَ النَّبيُّ ﷺ يُؤتى[١]".

– ***وعند الحاكم بلفظ:*** " لَمَّا نزَلَ عَلَيَّ [٢] رَسولُ اللهِ ﷺ قُلْتُ: بأبي أنتَ وأُمِّي [٣]؛ إنِّي أكْرَهُ أنْ أكونَ فَوقَكَ، وتَكونَ أسفَلَ منِّي، فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: إنِّي أرفُقُ بي [٤] أنْ أكونَ في السُّفْلى؛ لِما يَغْشانا منَ النَّاسِ[٥]، قالَ: فلقد رَأيْتُ جرَّةً [٦] لنا انكَسَرَتْ فأُهْريقَ ماؤُها [٧]، فقُمْتُ أنا وأمُّ أيُّوبَ بقَطيفةٍ [٨] لنا ما لنا لِحافٌ [٩] غَيرُها نُنشِّفُ بها الماءَ فَرَقًا [١٠] أنْ يصِلَ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ شيءٌ يُؤْذيهِ ".

وأخرج الترمذي والطبراني في" المعجم الأوسط" والحاكم عن عمر بن الخطاب ﷺ أنهُ فرضَ لأسامةَ بن زيد في ثلاثةِ آلافٍ وخمسمائةٍ، وفرض لعبدِ اللهِ بنِ عمرَ في ثلاثةِ آلافٍ، فقال عبدُ اللهِ بنِ عمرَ لأبيهِ: لمَ فضَّلتَ أسامةَ عليَّ؟ فواللهِ ما سبقني إلى مشهدٍ، قال: لأنَّ زيدًا كان أحبَّ إلى رسولِ اللهِ ﷺ من أبيكَ، وكان أسامةُ أحبَّ إلى رسولِ اللهِ ﷺ منكَ، فآثرتُ حبَّ رسولِ اللهِ ﷺ على حُبِّي ".

١ـ وكان النَّبيُّ ﷺ يُوْتَى" أي: تَأتيه الملائكةُ والوحيُ.
٢ـ نزل عليّ: أي حل ضيفًا في بيتي.
٣ـ بأبي أنت وأمي: كلمة تعظيم وتفدية، أي أبي وأمي فداء لك.
٤ـ أرفق بي: أليق بي وأكثر راحة لي.
٥ـ يغشانا من الناس: يأتينا ويزورنا.
٦ـ جرة: إناء من الفخار كان يُستخدم لحفظ الماء.
٧ـ أهريق ماؤها: انسكب ماؤها.
٨ـ قطيفة: نوع من الثياب الغليظة أو البُسط.
٩ـ لحاف: غطاء للفراش.
١٠ـ فرقًا: خوفًا وحذرًا.

وأخرج الإمام أحمد من حديث عائشة-رضي الله عنها- قالت: " إنَّ أبا بَكرٍ ﷺ لَمَّا حَضَرَتهُ الوفاةُ، قال: أيُّ يَومٍ هذا؟ قالوا: يَومُ الِاثنَينِ. قال: فإن مِتُّ مِن لَيلَتي فلا تَنتَظِروا بي الغَدَ، فإنَّ أحَبَّ الأيَّامِ واللَّيالي إلَيَّ أقرَبُها مِن رَسولِ اللَّهِ ﷺ ".

أخرج الطبراني وابن سعد في" الطبقات الكبرى: عن عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال عمر ﷺ للعباس: " يا عباسُ! واللهِ لَإسلامُك يومَ أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلامِ الخطابِ- لو أسلم- وما بي إلا أني قد عرفتُ أنَّ إسلامَك كان أحبَّ إلى رسولِ اللهِ ﷺ من إسلامِ الخطاب لو أسلم ".

(السلسلة الصحيحة :٣٣٤١)

قد ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ: أن خياطًا دعا النبي ﷺ لطعام صنعه قال أنس: فرأيت رسول الله ﷺ يتتبع الدباء [١] حوالي الصحيفة، فلم أزل أحب الدباء من ذلك اليوم ".

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيميَّةَ-رحمه الله-: " يَجِبُ على الإنسانِ أن يعلَمَ أنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ أرسَلَ محمَّدًا ﷺ إلى جميعِ الثَّقَلينِ؛ الإنسِ والجِنِّ، وأوجَبَ عليهم الإيمانَ به وبما جاء به، وطاعتَه، وأن يحَلِّلوا ما حَلَّل اللهُ ورَسولُه، ويُحَرِّموا ما حَرَّم اللهُ ورَسولُه، وأن يُوجِبوا ما أوجَبَه اللهُ ورَسولُه، ويحِبُّوا ما أحَبَّه اللهُ ورَسولُه، ويَكرَهوا ما كَرِهَه اللهُ ورَسولُه، وأنَّ كُلَّ من قامت عليه الحُجَّةُ برِسالةِ محمَّدٍ ﷺ مِنَ الإنسِ والجِنِّ، فلم يؤمِنْ به، استَحَقَّ عِقابَ اللهِ تعالى كما يَستَحِقُّه أمثالُه مِنَ الكافِرينَ الذين بُعِث إليهم الرَّسولُ، وهذا أصلٌ مُتَّفَقٌ عليه بينَ الصَّحابةِ والتَّابِعينَ لهم بإحسانٍ، وأئمَّةِ المُسلِمينَ وسائِرِ طوائِفِ المُسلِمينَ؛ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ وغَيرِهم ". (مجموع الفتاوى:١٩/٩).

ومن الأدب مع النبي ﷺ محبة ما يحب، فأنا أحب آل بيته ﷺ وصحابته من المهاجرين والأنصار، وأحب القرآن، وأحب مكة، والمدينة، وأحب جبل أحد لمحبة النبي ﷺ له.

١ - الدباء هي: القرع اليابس.

الأدب الثالث عشر: محبة وموالاة من يواليه النبي ﷺ، وكراهية ومعاداة من يعادي:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء ﴾ (سورة المائدة:٥١)

فلا نوالي هؤلاء ولا نحاكيهم في المظهر والمخبر، وهذا من أوثق عرى الإيمان.

قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة المجادلة: ٢٢)

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره: وقيل في قوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر [١]، ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ في الصديق همَّ يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن، ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾ في مصعب بن عمير، قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ في عمر قتل قريبًا له يومئذ أيضًا [٢]، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، قتلوا عتبة، وشيبة، والوليد بن عتبة يومئذ، والله أعلم ". اهـ

وانظر إلى هذا المنافق عبد الله بن أُبي بن سلول، عندما قال: ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ (سورة المنافقون:٨) فلما قفل الناس راجعين إلى المدينة؛ وقف عبد الله بن عبد الله بن أُبي ﷺ على باب المدينة واستل سيفه، فجعل الناس يمرُّون عليه، فلما جاء أبوه عبد الله بن أُبي قال له ابنه: وراءك، فقال أبوه: مالك ويلك؟ فقال: والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ، وكان رسول الله يسير ساقه[٣] فشكى إليه عبد الله بن أُبي ابنه، فقال الابن: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له فأذن له رسول الله ﷺ، فقال: أما إذ أذن لك رسول الله ﷺ فجز".

وهذا دليل على قوة إيمان الصحابة وتقديمهم لمحبة الله ورسوله ﷺ، على صلة أرحامهم.

١ـ قتل أبو عبيدة بن الجراح ﷺ والده. (رواه الطبراني)
٢ـ ونقل ابن هشام في سيرته عن أهل المغازي أن عمر بن الخطاب ﷺ قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة- وهو أخو حنتمة بنت هاشم -أم عمر بن الخطاب- في معركة بدر الكبرى. وكان العاص من مشركي قريش، وقد خرج لقتال المسلمين، فلقيه عمر ﷺ وأجهز عليه في المعركة.
٣ـ يسير ساقه: من صفته ﷺ إنه يسوق أصحابه أي يقدمهم ويمشي هو خلفهم تواضعًا، ولا يدع أحدًا يمشي خلفه.

الأدب الرابع عشر: توقير أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفة حقوقهم.

قال القاضي عياض-رحمه الله-: ومن توقيره وبره؛ بر آل بيته: ذريته، وأزواجه أمهات المؤمنين.

(الشفا بتعريف حقوق المصطفى:٢/٤٧)

وفضائل أهل بيت النبي ﷺ فلا تخفى على أحد، وحسبنا في ذلك **قوله تعالى:** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (سورة الأحزاب: ٣٣) فهذه الآية دالة على فضل قرابة رسول الله ﷺ، وهم الذين تحرم عليهم الصدقة، ومن أخصهم أزواجه وذريته.

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (سورة الشورى: ٢٣)

فالنبي ﷺ لا يسأل الناس أجرًا على تبليغ القرآن إلا مودة من أهل بيته، لا يطلب أجرًا غير ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: وإن الله تعالى جعل شكر إنعامه بإنزال القرآن مشروطًا بحب آل بيت نبيه ﷺ ". **(فضل أهل البيت)**

وقال القرطبي-رحمه الله- في" تفسيره": " وهذه الوصية، وهذا التأكيد العظيم، يقتضي وجوب احترام أهله، وإبرارهم وتوقيرهم وجوب الفروض المؤكدة، التي لا عذر فيها لأحدٍ في التخلف عنها ".

وقال ابن كثير في" تفسيره:٤/"١١٢: " ولا ننكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض، فخرًا وحسبًا ونسبًا، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان سلفهم، كالعباس وبنيه، وعليّ وأهل بيته وذريته-رضي الله عنهم- أجمعين ".

وقال رسول الله ﷺ: **" أذكركم الله في أهل بيتي". (أخرجه مسلم وأحمد عن زيد بن أرقم ﷺ)**

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- في عقيدته الواسطية، تحت باب مكانة أهل بيت النبي ﷺ عند أهل السنة والجماعة: " ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ **حيث قال يوم غدير خم:" أذكركم الله في أهل بيتي ".**

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي حميد الساعدي ﷺ أنهم قالوا: **يا رسول الله! كيف نصلي عليك؟ فقال:" قولوا: اللهم صلِّ[1] على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ".**

١- والصلاة من الله على العبد هي: الثناء عليه في الملأ الأعلى، كذا قال أبو العالية - رحمه الله- ونقل هذا عنه البخاري في صحيحه.

- *وفي رواية:* " اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد ".

ولله در القائل:

فلا تعدل بأهل البيت خلقًا ... فأهلُ البيت هم أهل السيادةِ

فبغضهُمُ مِنَ الإنسانِ خسرٌ ... حقيقي وحبُهُـم عبـــــادة

وقال محمد بن يوسف الشافعي:

يا أهلَ بيتِ رسول الله حُبُّكُمُ ... فَرْض من الله في القرآنِ أَنْزَلَهُ

كفاكُموا من عَظِيم القدر أنكُمُ ... مَنْ لم يُصَلِّ عليكم لا صلاة له

(القول البديع ص:١٢٥، استجلاب ارتقاء الغرف للسخاوي ص:١١٠)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: " واتباع القرآن واجب على الأمة؛ بل هو أصل الإيمان وهدى الله الذي بعث به رسوله ﷺ، وكذلك أهل بيت رسول الله ﷺ: تجب محبتهم وموالاتهم ورعاية حقهم، ولو ذكرنا ما روي في حقوق القرابة وحقوق الصحابة، لطال الخطاب؛ فإن دلائل هذا كثيرة من الكتاب والسنة. ولهذا اتفق أهل السنة والجماعة على رعاية حقوق الصحابة والقرابة، وتبرؤوا من الناصبة الذين يكفرون علي بن أبي طالب، ويفسقونه، وينتقصون بحرمة أهل البيت؛ مثل من كان يعاديهم على الملك أو يعرض عن حقوقهم الواجبة أو يغلو في تعظيم يزيد بن معاوية بغير الحق ". اهـ **(مجموع الفتاوى:٢٨ /٤٩١)**.

قال القاضي عياض-رحمه الله-: " واعلم أنّ حرمة النّبيّ ﷺ بعد موته، وتوقيره وتعظيمه: لازم، كما كان حال حياته؛ وذلك عند ذكره ﷺ، وذكر حديثه وسنّته، وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته ". اهـ **(الشفا بتعريف حقوق المصطفى:٢/٤٠)**

وقفة: حِينَ ضُرِبَ الإمام أَحْمَد بْن حَنْبَلٍ فِي مِحنتِهِ وَقُيِّدَ، وَبَعْدَ ذلك عندما أَقَامَ الحُجَّةَ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَاؤُدَ أَمَامَ الوَاثِقِ، قَالَ الوَاثِقُ: اقْطَعُوا قَيْدَ الشَّيْخِ، فَلَمَّا قُطِعَ، ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى القَيْدِ لِيَأْخُذَهُ، فَجَاذَبَهُ الحَدَّادُ عَلَيْه. فَقَالَ الوَاثِقُ: لِمَ أَخَذْتَهُ؟ قَالَ: لِأَنِّي نَوَيْتُ أَنْ أُوْصِيَ أَنْ يَجْعَلَ فِي كَفَنِي حَتَّى أُخَاصِمَ بِهِ هَذَا الظَّالِمَ غَدًا، وَبَكَى، فَبَكَى الوَاثِقُ، وَبَكَيْنَا. ثُمَّ سَأَلَهُ الوَاثِقُ أَنْ يَجْعَلَهُ فِي حِلٍّ، فَقَالَ: لَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي حِلٍّ وَسَعَةٍ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، إِكْرَامًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، لِكَوْنِكَ مِنْ أَهْلِهِ ". **(سير أعلام النبلاء:١١/٣١٥)**

- **لا يبغض أحد أهل البيت إلا كان من أهل النار:**

فقد أخرج الحاكم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَبْغَضُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَحَدٌ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ ". **(الصحيحة:٢٤٨٨)**

الأدب الخامس عشر: محبة أصحاب النبي ﷺ الأخيار ، والترضي عنهم، والتأسي بهم:

فمن الأدب مع النبي ﷺ توقير أصحابه، والتأدب معهم، وبرهم ومعرفة حقهم، والاقتداء بهم، وحسن الثناء عليهم، والاستغفار لهم، والإمساك عما شجر بينهم، ومعاداة من عاداهم، وأن لا تذكر أحدًا منهم بسوء، بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرتهم، **كما قال تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة الحشر: ١٠)

وقد أثنى الله عليهم فقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة التوبة: ١٠٠)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: " والرضا عن الله صفة قديمة، فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضا، ومن رضي الله عنه، لم يسخط عليه أبدًا.. فكل من أخبر الله تعالى عنه أنه رضي عنه فإنه من أهل الجنة، وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح، فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء عليه والمدح له، فلو علم أنه يتعقب ذلك بما يسخط الرب لم يكن من أهل ذلك ". اهـ

(الصارم المسلول ص:٧٢)

وقال ابن حزم-رحمه الله- في" الملل والنحل:٤/١٤٨" في الآية السابقة: " أخبرنا الله تعالى أنه علم ما في قلوبهم، ورضي عنهم، وأنزل السَّكينةَ عليهم، فلا يَحلُّ لأحدٍ التوقُّفُ في أمرهم أو الشَّكُّ فيهم البَتَّة ".

فالصحابة- رضي الله عنهم- خيرة الناس بعد الأنبياء، وصفوة خلقه، وخيرة الله لصحبة نبيه، وهم الأمناء على دين الله تعالى، فهم الذين أدو لنا القرآن والسنة، وثبتت بهم حجة الله على الخلق، وهم خير أمة أخرجت للناس، فحبهم سنة، والترضي عليهم قربة، والأخذ بآثارهم فضيلة.

قال ابن قيم-رحمه لله-: " ومحبة الصحابة-رضي الله عنهم- وإجلالهم تابع لمحبة الله ورسوله".

(جلاء الأفهام ص:٢٩٧)

وقال عبد الله بن المبارك-رحمه الله-: " خصلتان من كانتا فيه نجا: الصدق، وحب أصحاب محمد ﷺ".

(الشفا بتعريف حقوق المصطفى:٢/٤٥).

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ".**

وقال ابن مسعود ﷺ: **من كان منكم متأسيًا فليتأس بأصحاب محمد، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا، قومًا اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ".**

(أخرجه ابن عبد البر في بيان العلم وفضله، وصححه الألباني في الصحيحة:٢٦٤٨)

وصحابة النبي صلى الله عليه وسلم هم الذين اصطفاهم الله -عز وجل- لصحبة نبيه ﷺ:

قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ (سورة النمل:٥٩).

قال ابن جرير الطبري-رحمه الله- في" تفسيره:٨/٦٣١٠": وقوله ﴿الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ أي: الذين اجتباهم لنبيه محمد ﷺ فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدين الذي بعثه بالدعاء إليه دون المشركين به الجاحدين نبوة نبيه". ثم ذكر بإسناده إلى ابن عباس- رضي الله عنهما- في قوله: ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ قال: أصحاب محمد اصطفاهم الله لنبيه ".

وقال ابن مسعود ﷺ: " إن الله نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه ". (أخرجه أحمد بسند حسن)

قال القاضي عياض-رحمه الله- في كتابه" الشفا بتعريف حقوق المصطفى:٢/٥٢": " ومن توقيره وبره صلى الله عليه وآله وسلم توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم، والاستغفار لهم والإمساك عما شجر بينهم، ومعاداة من عاداهم والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم، وأن يلتمس لهم فيما نُقل عنهم من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات، ويخرج لهم أصوب المخارج؛ إذ هم أهل ذلك، ولا يُذكَر أحد منهم بسوء، ولا يغمص[1] عليه أمر، بل تُذكَر حسناتُهم وفضائلهم وحميد سيرهم، ويُسكَت عما وراء ذلك ". اهـ

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن سبهم أو التنقيص منهم:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تَسُبُّوا أصحابي، لا تَسُبُّوا أصحابي؛ فوالذي نَفسي بيَدِه لو أنَّ أحَدَكُم أنفَقَ مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ما أدرَك مُدَّ أحَدِهم ولا نَصيفَه ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ". (الصحيحة:٢٣٤٠)

وأخرج الطبراني في" المعجم الأوسط" من حديث عائشة-رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ:
" لا تسبُّوا أصحابي، لعَن اللهُ مَن سبَّ أصحابي ".

وأخرج الإمام أحمد والترمذي والبيهقي في" الشعب" عن عبد الله بن مغفل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:
" اللهَ اللهَ في أَصْحَابِي، اللهَ اللهَ في أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ، وَمَنْ آذَى اللهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ ".

١- ولا يغمص: أي ولا يُعاب.

الأدب السادس عشر: نصرة النبي صلى الله عليه وسلم والذب عنه:

الذَّبُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَالتَّصَدِّي للمُغْرِضِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْمُسْتَشْرِقِينَ الَّذِينَ يَبُثُّونَ سُمُومَهُمْ فِي كُتبهِمِ ووَسَائِلِ الإِعْلَامِ الْمُخْتَلِفَةِ إِيذَاءً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَمُحَارَبَةً لِلَّهِ وَلِدِينِهِ وَلِأَوْلِيَائِهِ، وَقَدِ انْتَدَبَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ يَكْفِيهِ الْمُشْرِكِينَ مَعَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ حَفِظَهُ فَقَالَ ﷺ:" **مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا، وَلَهُ الْجَنَّةُ** ". (رواه مسلم)

وَقَالَ لِأَبِي قَتَادَةَ ﷺ حِينَ كَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَسْقُطَ مِنَ الرَّاحِلَةِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَهُوَ نَائِمٌ، وَكَانَ أَبُو قَتَادَةَ يَدْعَمُهُ حَتَّى لَا يَسْقُطَ قَالَ لَهُ:" **حَفِظَكَ اللَّهُ بِمَا حَفِظْتَ نَبِيَّهُ** ". (رواه مسلم).

وَقَالَ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ حِينَ ائْتَدَبَهُ لِلدِّفَاعِ عَنْهُ ﷺ: " **اهْجُهُمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ** ".(رواه البخاري ومسلم).

وَمِنْ قَوْلِ حَسَّانَ:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَه وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

وَالدِّفَاعُ وَالذَّبُّ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ وَآلِ بَيْتِهِ، وَأَصْحَابِهِ شَرَفٌ وَرِفْعَةٌ يَنبَغِي العَمَلُ لِأَجْلِهِ، وَاللَّهُ مُؤَيِّدٌ وَحَافِظٌ وَنَاصِرٌ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (سورة الحج:٤٠)

وَقَالَ تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (سورة غافر:٥١)

فلا عذر لنا عند الله غدًا إن لم نذب عن النبي ﷺ، أو نذب عن سنته.

أخرج الحاكم عن زيد بن ثابت ﷺ قال: **بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع ﷺ وقال لي: إن رأيته فأقرئه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ: كيف تجدك؟ قال زيد: فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته وهو في آخر رمق، وبه سبعون ضربة، ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت له: يا سعد. إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: خبرني كيف تجدك؟ قال: على رسول الله السلام وعليك السلام، قل له: أجدني أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شُفر[1] يطرف، قال: وفاضت عيناه ".**

ففيم فكَّر هذا المحب الصادق في آخر لحظات حياته؟ وماذا شغل باله؟، وبماذا أوصى قومه وهو يودعهم مرتحلًا عن هذه الدنيا وما فيها من أهل وأولاد ومتاع؟ إن الأمر الذي شغل باله هو سلامة حبيبه، حبيب رب العالمين ﷺ، والوصية التي أوصى بها قومه هي أن يبذل كل واحد منهم نفسه فداءً للرسول الكريم ﷺ، فلا عذر لهم أمام الله إذا وصل للرسول أذى.

فها أنا أردد مع سعد بن الربيع ﷺ، وأقول:" لا عذر لنا أمام الله إن لم ننصر رسولنا ﷺ وندافع عنه.

---

١ ـ شُفر: بالضم، وقد يفتح، وهو حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر.

- **ولنعلم جميعًا أن دفاعنا عن النبي ﷺ لا يزيد من قَدْرِهِ شيئًا، كما أن إساءة السفهاء له لا تنقص من قدره شيئًا، لكن هذه محنة واختبار لمعرفة المُحِب الصادق للحبيب المختار. قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾** (سورة محمد: ٤)

يقول شيخ الإسلام-رحمه الله- " إن الله فرض علينا تعزير[١] رسوله ﷺ وتوقيره[٢]، وذلك يوجب صون عرضه بكل طريق، فلا يجوز أن نصالح أهل الذمة وهم يُسْمِعُونَا شتم نبينا ﷺ وإظهار ذلك، لأنا إذا تركناها على هذا؛ تركنا الواجب علينا نحو رسول الله ﷺ". اهـ (الصارم المسلول على شاتم الرسول ص: ٢٠٩)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- أيضًا: " وحماية عرضه في كونه نصرًا أبلغ من ذلك في حق غيره؛ لأن الوقيعة في عرض غيره قد لا تضر مقصوده، بل تكتب له بها حسنات. أما انتهاك عرض رسول الله ﷺ فإنه مناف لدين الله بالكلية، فإن العرض متى انتهك سقط الاحترام والتعظيم، فسقط ما جاء به من الرسالة، فبطل الدين، فقيام المدحة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله وسقوط ذلك سقوط الدين كله، وإذا كان كذلك وجب علينا أن ننتصر له مما انتهك عرضه والانتصار له بالقتل؛ لأن انتهاك عرضه انتهاك لدين الله ". (المصدر السابق: ص١٧٠)

فلابد على المسلمين جميعًا الدفاع والذب عن رسول ﷺ ونصرته؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأنفال:٦٢)

فذكر الله تعالى أنه أيد رسوله بنصره وبنصر المؤمنين إياه، ولو تخاذلنا عن نصرة الرسول ﷺ؛ **فإن الله تعالى يقول: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾** (سورة التوبة:٤٠)

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره: " يقول تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أي: تنصروا رسوله، فإن الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه، كما تولى نصره ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ أي: عام الهجرة، لما همَّ المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه ". اهـ

وقال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: " أي إلا تنصروا رسوله محمدًا، فالله غني عنكم، لا تضرونه شيئًا، فقد نصره في أقل ما يكون (تيسير الكريم الرحمن ص:٢٩٨)

وقد مدح الله تعالى المهاجرين لأنهم نصروا رسوله ﷺ، فخرجوا من مكة إلى المدينة، تضحية ومحبة ونصرة لله ولرسوله ﷺ. **فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾** (سورة الحشر: ٨).

١- وتعزيره: يعني: نصرهُ ومنعهُ.
٢- وتوقيره: يعني: إجلاله وتعظيمه.

وأخرج البخاري من حديث عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال:" بينا أنا واقِفٌ في الصَّفِّ يَومَ بَدرٍ، فنَظَرتُ عن يَميني وعَن شِمالي، فإذا أنا بغُلامَينِ مِنَ الأنصارِ حَديثةٍ أسنانُهما، تَمَنَّيتُ أن أكونَ بينَ أضلَعَ منهما، فغَمَزَني أحَدُهما فقال: يا عَمِّ، هل تَعرِفُ أبا جَهلٍ؟ قُلتُ: نَعَم، ما حاجَتُكَ إليه يا ابنَ أخي؟ قال: أُخبِرتُ أنَّه يَسُبُّ رَسولَ اللهِ ﷺ، والذي نَفسي بيَدِه لَئِن رَأيتُه لا يُفارِقُ سَوادي سَوادَه حتَّى يَموتَ الأعجَلُ مِنَّا، فتَعَجَّبتُ لذلك، فغَمَزَني الآخَرُ، فقال لي مِثلَها، فلَم أنشَبْ أن نَظَرتُ إلى أبي جَهلٍ يَجولُ في النَّاسِ، قُلتُ: ألا إنَّ هذا صاحِبُكُما الذي سَألتُماني، فابتَدَراه بسَيفَيهما، فضَرَباه حتَّى قَتَلاه، ثُمَّ انصَرَفا إلى رَسولِ اللهِ ﷺ، فأخبَراه، فقال: أيُّكُما قَتَلَه؟ قال كُلُّ واحِدٍ منهما: أنا قَتَلتُه، فقال: هل مَسَحتُما سَيفَيكُما؟ قالا: لا، فنَظَرَ في السَّيفَينِ، فقال: كِلاكُما قَتَلَه، سَلَبُه لمُعاذِ بنِ عَمرِو بنِ الجَموحِ، وكانا مُعاذَ بنَ عَفراءَ، ومُعاذَ بنَ عَمرِو بنِ الجَموحِ.

ومن نصرة النبي ﷺ: التمسك بسنته، والدفاع عنها، وإحياء ما مات منها، ورفض البدع بجميع صورها.

ومن نصرة النبي ﷺ: التخلق بأخلاقه، وشمائله، والدفاع عن أهل بيته وأصحابه.

الأدب السابع عشر: حفظ سنته صلى الله عليه وسلم والدفاع عنها ونشرها:

وهذا من أيضًا من باب نصرة النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره:" قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ للناس ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾ أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ أي: أحثُّ الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم، وأرغِّبهم في ذلك وأرهِّبهم مما يبعدهم عنه. ومع هذا فأنا ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ من ديني، أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية. ﴿وَ﴾ كذلك ﴿مَنِ اتَّبَعَنِي﴾ يدعو إلى الله كما أدعو على بصيرة من أمره. ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ في جميع أموري، بل أعبد الله مخلصا له الدين ". اهـ

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة فصلت: ٣٣)

وأخرج البخاري ومسلم عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لِعَلِيٍّ يَوْمَ خَيْبَرَ:" فوالله لأن يَهدِيَ اللهُ بكَ رَجُلًا واحِدًا خَيرٌ لكَ مِن أن يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ[1] ".

وفي رواية:" خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ".

١ـ حُمْر النَّعم: هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه. (شرح صحيح مسلم :١٥/ ١٧٨).

وقال النبي ﷺ كما في صحيح البخاري:" فليبلغ الشاهد الغائب ".

وقال النبي ﷺ كما في صحيح البخاري:" بلّغوا عني ولو آية ".

وأخرج الحاكم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" نضَّر الله عبدًا سمِع مقالتي فوعاها، ثم بلَّغها عني، فرُبَّ حامل فقهٍ غير فقيه، ورُبَّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه ".

أخرج أبو داود والترمذي وابن حبان من حديث ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" نَضَّرَ الله امرأً سمع منا شيئًا فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع ". (الصحيحة :٤٠٤).

وأخرج الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا ".

وأخرج الترمذي بسند صحيح عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ يَسْتَحْمِلُهُ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ مَا يَحْمِلُهُ فَدَلَّهُ عَلَى آخَرَ فَحَمَلَهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: "إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ ".

وأخرج الإمام مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ".

***قال ابن قيم-رحمه الله-:*" فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أممهم، والناس تبع لهم، والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه، وضمن له حفظه وعصمته من الناس، وهكذا المبلغون عنه من أمته لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم لهم، وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثًا، وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه".**

(جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام ص: ٣٣٩)

فعلينا جميعًا نشر سنة النبي ﷺ فالخطيب يفعل ذلك من خلال منبره.

والمدرس ينشر سنة النبي ﷺ بين طلابه.

والكاتب ينشر سنة النبي ﷺ من خلال قلمه.

والعامي ينشر سنة النبي ﷺ من خلال توزيع المطويات، والمحاضرات.

والعالم ينشر سنة النبي ﷺ من خلال دفع الشبهات حول ما يُثار.

وصاحب المال ينشر سنة النبي ﷺ من خلال ترجمة وطبع الكتب الإسلامية ونشرها... وهكذا.

الأدب الثامن عشر: عدم الكذب على النبي ﷺ، وتحري صحة الأحاديث ونسبتها إليه:

وهذا أيضًا من باب نصرة النبي ﷺ.

أخرج الإمام مسلم وأحمد من حديث سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين ".**

أخرج الإمام مسلم من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" من حدَّثَ عنِّي حديثًا وَهوَ يرى[1] أنَّهُ كذِبٌ[2] فَهوَ أحدُ الكاذِبينَ[3] ".**

أخرج الإمام مسلم من حديث المغيرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إنَّ كَذِبًا علي ليس ككذب على أحد، فمن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار ".**

أخرج البخاري في" التاريخ الكبير" وأحمد من حديث عثمان بن عفان ﷺ قال: **" ما يمنعني أن أحدث عن رسول الله ﷺ أن لا أكون أوعى أصحابه عنه، ولكني أشهد لسمعته يقول:" من قال علي ما لم أقل؛ فليتبوأ مقعده من النار ".** (الصحيحة:٣١٠٠).

أخرج الإمام أحمد من حديث سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إذا حدثتكم حديثًا؛ فلا تزيدن علي ".**

(الصحيحة :٣٤٦).

والكذب في حق الله تعالى، أو حق رسوله ﷺ يسميه ابن تيمية-رحمه الله-: تحريف التنزيل، أي يحرفون ألفاظ الرسول ﷺ، ويروون الحديث بروايات منكرة ". (اقتضاء الصراط المستقيم ص:٣٠)

ومن الأدب مع النبي ﷺ عدم التساهل في رواية الأحاديث الضعيفة حتى مع اصطلاح بعض العلماء في قولهم: (روي[4]) المُشعر بالتضعيف؛ وذلك لعدم فهم هذا الاصطلاح الخاص عند أكثر الناس، فهو لا يكفي إلا مع بيان درجة الحديث بأنه ضعيف أو لا يصح؛ لأن ترك البيان يوهم بأنه مقبول وصحيح.

قال العلامة المحدث أحمد شاكر-رحمه الله-: " والذي أراه أن بيان الضعف في الحديث الضعيف واجب في كل حال؛ لأن ترك البيان يوهم المطلع عليه أنه حديث صحيح، خصوصًا إذا كان الناقل من عُلماء الحديث الذين يُرْجَعُ إلى قولهم في ذلك، وأنه لا فرق بين الأحكام وبين فضائل الأعمال ونحوها في عدم الأخذ بالرواية الضعيفة، بل لا حجة لأحد إلا بما صح عن رسول الله ﷺ من حديث صحيح أو حسن ".

(الباعث الحثيث:٢٧٨، تحقيق المحدث الشيخ علي بن حسن الحلبي)

١- وهو يُرى" بالضَّمِّ أي يَظُنُّ، وبالفتحِ بمعنى يَعلَمُ.

٢- أنَّه كَذِبٌ: أي: لم يَقُلْه ﷺ.

٣- فهو أحَدُ الكاذِبَينِ: بالتَّثنية، أي: الكاذِبُ والنَّاقِلُ عنه

٤- هذا اصطلاح علماء الحديث في الأحاديث التي لا يتبين فيها الصحة، قال ابن الصلاح-رحمه الله-: إذا أردت رواية الحديث الضعيف بغير إسناد فلا تقل فيه: قال رسول الله ﷺ كذا وكذا، وما أشبه هذا من الألفاظ الجازمة بأنه قال ذلك، وإنما تقول فيه: روي عن رسول الله ﷺ كذا وكذا، أو بلغنا عنه كذا وكذا، أو ورد عنه، جاء عنه، أو روى بعضهم وما أشبه ذلك، وهكذا الحكم فيما تشك في صحته وضعفه، وإنما تقول: قال رسول الله ﷺ فيما ظهر لك صحته". (علوم الحديث ص:٩٤).

ومن الأدب عند إيراد الأحاديث عن النبي ﷺ تحري الدقة في الألفاظ عند الأداء، وعدم التهاون في ذلك، ويطيش عقل المؤمن من تساهل بعض المتحدثين عن النبي ﷺ فلا هيبة ولا توقير، يورد الكلام ويغير فيه المعنى، ويصرفه عن الصواب، في تقليل وتسهيل، فمن أراد ذكر الحديث بالمعنى فعليه بيان ذلك بقولة:" أو كما قال".

قال ابن الصلاح-رحمه الله-: ينبغي لمن يروي حديثًا بالمعنى أن يتبعه بأن يقول: أو كما قال، أو نحو هذا وما أشبه ذلك من الألفاظ..، وإذا اشتبه على القارئ فيما يقرؤه لفظة فقرأها على وجه يشك فيه ثم قال: أو كما قال فهذا حسن، وهو الصواب في مثله (علوم الحديث: ١٩٢).

وذكر ابن عبد البر-رحمه الله- في كتابه: جامع بيان العلم وفضله: ١/ ٣٣٩" بابًا ساق فيه آثارًا عن أبي الدرداء وأنس وابن مسعود -رضي الله عنهم-: فقد ذكر عن أبي الدرداء ﷺ **أنه كان إذا حدث عن رسول الله** ﷺ **ثم فرغ منه قال: اللهم إن لم يكن هكذا فَكَشَكله".** وذكر كذلك عن أنس ﷺ **أنه إذا حدث عن رسول الله** ﷺ **حديثًا ففرغ منه قال: أو كما قال رسول الله** ﷺ. وذكر عن ابن مسعود ﷺ **أنه حدث يومًا بحديث فقال: سمعت رسول الله** ﷺ. **ثم أرعد وأرعدت ثيابه، وقال: أو نحو هذا، أو شبه هذا ".**

والعاقل من إذا ساق حديثًا يعلم أنه غاب عنه بعضه، أو شرد ذهنه في إحكام لفظه، ولم يتمكن من أدائه كما ورد أن يقول بعد إيراده:" أو كما قال رسول الله ﷺ"، وما ذاك إلا توقيرًا لرسول الله ﷺ وعدم الزيادة أو التقول عليه. ***ومما يدل على ذلك ما رواه البخاري عن أسامة بن زيد*** ﷺ ***قال: كان*** ﷺ ***يَأْخُذُني والحَسَنَ ويقولُ:*** **" اللهُمَّ إنِّي أُحِبُّهما فأحِبَّهما. أو كما قال ".**

- *وأخرج الإمام مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي* ﷺ ***قال: قال رسول الله*** ﷺ**:" إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن أو كما قال رسول الله** ﷺ **".**

تنبيه: الأوراد والأذكار الواردة عن النبي ﷺ توقيفيه كأذكار الركوع والسجود، أو الطعام والشراب، أو دخول المسجد والخروج منه، ونحو ذلك، فلا يجوز فيها التصرف بالزيادة أو النقص، ولو بلفظ لا يفسد المعنى، لأنها توقيفيه. ***ودليل ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عن البراء بن عازب*** ﷺ ***قال: قال رسول الله*** ﷺ**:" إذا أُتيتَ مَضْجَعَكَ فتَوَضَّأْ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثَمْ قُلْ: اللهم أسلمت وجهي إليكَ، وفَوَّضْتُ أمري إليكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهرِي إِلَيكَ، رغبةً ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك. اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت. فإن مُتْ مِن لَيْلَتِكَ فأنت على الفطرة. واجعلهن آخر ما تتكلم به. قال: فرددتها على النبي** ﷺ**، فلما بلغت اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت: ورسولك، قال: لا. ونبيك الذي أرسلت ".**

وفي الحديث رد على المبتدعة الذين استبدلوا الأذكار النبوية التوقيفية كأذكار دخول المسجد والخروج منه أو الطعام والشراب، أو الركوع والسجود، وغيرها بأوراد بدعية، قال شيخنا العلامة الألباني –رحمه الله-:

" ولفظ (الرسول) أعم من لفظة (النبي)، ومع ذلك رده النبي ﷺ، مع أن البراء ﷺ قاله سهوًا لم يتعمدها فأين منه أولئك المبتدعة الذين لا يتحرجون من أي زيادة في الذكر، أو نقص منه؟! فهل من معتبر؟".

(حاشية صحيح الترغيب:١/٣١٩)

كما أنه لا يجوز ابتداع ذكر معين لم يأت في الكتاب والسنة وتفضيله واضفاء الفضيلة عليه بأنه للشفاء أو تفريج الكرب، أو للبركة أو طرد الشيطان. **(دورة الأدب مع الرسول ﷺ ومع الملائكة)**

الأدب التاسع عشر: عدم الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ **(الكهف: ١١٠)**

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: " أي: ﴿**قُلْ**﴾ يا محمد للكفار وغيرهم: ﴿**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**﴾ أي: لست بإله، ولا لي شركة في الملك، ولا علم بالغيب، ولا عندي خزائن الله، ﴿**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**﴾ عبد من عبيد ربي، ﴿**يُوحَى إِلَيَّ**﴾ أي: فضلت عليكم بالوحي، الذي يوحيه الله إلي، الذي أجله الإخبار لكم".

وأخرج الإمام مسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"... إنَّما أنا بَشَرٌ، أرضى كما يَرضى البَشَرُ، وأغضَبُ كما يَغضَبُ البَشَرُ...".**

وفي حديث أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"... ولَكِن إنَّما أنا بَشَرٌ مِثْلُكُم، أنسى كما تَنسَونَ، فإذا نَسِيتُ فذَكِّروني...".**

- وإن كان النبي ﷺ بشرًا؛ لكنه خير البشر وأفضلهم على الإطلاق، فهو خليل الرحمن، ومع هذا فقد ذكره الله تعالى في كثير من الآيات بصفة العبودية، وهي أرقى المنازل، **فقال تعالى:** ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا**﴾ **(الإسراء:١)** **وقال تعالى:** ﴿**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**﴾ **(النجم:١٠)** **وقال تعالى:** ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ**﴾ **(الجن:١٩)** **وقال تعالى:** ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا**﴾ **(البقرة:٢٣)**، وفي حديث الشفاعة الطويل، وكما هو معلوم أن الشفاعة من أرقى مقاماته المحمودة في الآخرة، لأن كل الأنبياء يحيلونها إليه ﷺ. **وفي الحديث:"…. إن المسيح -عليه السلام- يقول لهم: " اذهبوا إلى محمدٍ، عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر".** **(رواه البخاري ومسلم)** فقد نال هذا المقام بكمال عبوديته لله، وبكمال مغفرة الله له.

وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤)

وقوله تعالى: ﴿وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ تقرير لحقيقة ثابتة، ولأمر مؤكد، وهو أن محمدًا ﷺ واحد من البشر، وأنه سيموت كما يموت جميع البشر، وأنه ليس له صفة تميزه عن سائر البشر سوى الرسالة التي وهبها الله-تبارك وتعالى- له، ومنحه إياها، وأن هذه الرسالة لا تقتضي بقاءه أو خلوده، إذ الرسل الذين سبقوه قد أدوا رسالتهم في الحياة كما أمرهم خالقهم ثم ماتوا أو قتلوا. ومادام الأمر كذلك فمحمد ﷺ سيموت وينتقل إلى الرفيق الأعلى كما مات الذين سبقوه من الأنبياء، وكما سيموت جميع البشر. فكأنه- تبارك وتعالى- يقول لهم: إن محمدًا ﷺ رسول من الرسل الذين أرسلهم الله لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وسيكون مصيره إلى الموت إن عاجلا أو آجلا كما هو شأن سائر البشر الذين اصطفى الله تعالى منهم رسله، إلا أن رسالته التي جاء بها من عند الله لن تموت من بعده، بل ستستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولا يصح أن يضعف أتباعه في عقيدتهم أو في تبليغ رسالته من بعده، بل عليهم أن يستمسكوا بما جاءهم به، وأن يدافعوا عنه بأنفسهم وأموالهم. ولذا فقد وبخ الله تعالى بعض المسلمين الذين صدر منهم اضطراب أو ضعف عند ما أشاع ضعاف النفوس بأن الرسول ﷺ قد قتل في غزوة أحد فقال-تبارك وتعالى-: ﴿أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ﴾؟ أي: إذا مات محمد ﷺ - أيها المؤمنون- وقد علمتم أن موته حق لا ريب فيه، أو قتل وهو يدافع عن دينه وعقيدته، ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ﴾ أي: رجعتم إلى ما كنتم عليه من الكفر والضلال. (التفسير الوسيط)

- **وقد نهى النبي ﷺ أمته أن يمدحوه ويطروه:**

فقد أخرج البخاري من حديث عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: **" لا تطرُوني كما أطرتِ النصارَى ابنَ مريمَ إنما أنا عبدٌ فقولوا عبدُ اللهِ ورسولُه ".**

والإطراءُ هو: الإفراطُ في المَديحِ ومُجاوَزةُ الحدِّ فيه، وقيل: هو المديحُ بالباطلِ والكذِبُ فيه، والمعنى: لا تَمْدَحوني بالباطلِ وبما ليس لي مِن الصِّفاتِ، كما وصَفَتِ النَّصارى عِيسى ابنَ مَريمَ بما لم يكُنْ فيه، فزعَموا أنَّه ابنُ اللهِ، فكَفَروا بذلك وضلُّوا، وقدْ بيَّنَ اللهُ سُبحانَه في كِتابِه ما كان عليه النَّصارى مِن الغُلوِّ وحَذَّرَهم مِن ذلك، ومنه قولُ اللهِ تعالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (سورة النساء: ١٧١).

ثمَّ أمَرَهم النَّبيُّ ﷺ بأنْ يَقولوا عنه: إنَّه عبْدُ اللهِ ورَسولُه، وجمَعَ ﷺ بيْن وَصْفِه بالعُبوديَّةِ للهِ ووَصْفِه بالرِّسالةِ؛ دَفْعًا للإفراطِ والتَّفريطِ؛ فدَفَعَ الإفراطَ والغُلوَّ فيه ﷺ بكَونِه ﷺ عبْدَ اللهِ تعالَى، ودفَعَ التَّقصيرَ والتَّفريطَ في حقِّه ﷺ بتَرْكِ مُتابَعتِه، وعدَمِ الأخْذِ بسُنَّتِه، والسَّيرِ على نَهْجِه الَّذي أرْسَلَه اللهُ به؛ بكَونِه رَسولَ اللهِ عزَّ وجلَّ. (الدرر السنية)

وأخرج الإمام أحمد من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ **أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ! عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ[1]، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ".**

ومع ذلك تجد أن القصائد والمدائح التي يُتَغَنَّى بها غلاة الصوفية ومن على شاكلتهم لا تخلو من عبارات الغلو وألفاظ الشرك، فها هو البوصيري يقول في بردته:

يا أكرم الخلق ما لي مَن ألوذ به ... سواك عند حدوث الحادث العمم

فإن من جـودك الدنيا وضرتها ... ومـن علومـك علم اللـوح والقلـم

وآخر يقول:

صلوات الله عليك يا نبي ... يـا مُجلي الهـم والكُـرَب

فكاشف الهم والكرب هو الله وحده.

وآخر يقول: يا رسول الله غوثًا ومـــدد ... يا رسول الله عليك المعتمد

يا رسول الله فـرج كـربنا ... ما رآك الكـرب إلا وشـرد

ومنهم من يقول: أن الدنيا خُلقت من أجل محمدٍ، وآخرون يصفون النبي ﷺ بأنه نور عرش الرحمن، وغير ذلك من ألوان الغلو، ومن المعلوم أن الغلو في الدين أو في الأنبياء والصالحين يؤدي إلى الهلكة كما أخبر رب العالمين في كتابه الكريم. **فقال تعالى:** ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (سورة المائدة: ٧٧)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: "**يقول تعالى لنبيه** ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ أي: لا تتجاوزوا وتتعدوا الحق إلى الباطل، وذلك كقولهم في المسيح، ما تقدم حكايته عنهم. وكغلوهم في بعض المشايخ، اتباعا لـ ﴿أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: تقدم ضلالهم. ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ من الناس بدعوتهم إياهم إلى الدين، الذي هم عليه. ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ أي: قصد الطريق، فجمعوا بين الضلال والإضلال، وهؤلاء هم أئمة الضلال الذين حذر الله عنهم وعن اتباع أهوائهم المردية، وآرائهم المضلة.

١ - لا يستهوينّكم الشيطان: لا يغرينكم ويضللكم الشيطان بكثرة المدح والإطراء الذي قد يصل إلى حد الغلو.

يقول الشيخ محمد رشيد –رحمه الله–: " من تتبع التاريخ يعلم أن أشد المؤمنين حبًا واتباعًا للنبي ﷺ أقلهم غلوًا فيه، ولا سيما أصحابه–رضي الله عنهم– ومن يليهم من خير القرون، وأن أضعفهم إيمانًا وأقلهم اتباعًا له هم أشدهم غلوًا في القول، وابتداعًا في العمل ".

(تعليق محمد رشيد رضا على كتاب "صيانة الإنسان للسهواني" ص: ٢٤٤)

الأدب العشرون: نشهد له صلى الله عليه وسلم أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة:

وقال النبي ﷺ: **" تَرَكْتُ فِيكُمْ ما لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إن اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فما أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قالوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قد بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ فقال بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إلى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إلى الناس اللهم اشْهَدْ اللهم اشْهَدْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ".** (رواه مسلم).

فجزاك الله عنا يا رسول الله ﷺ أفضل ما جزى نبيًا عن قومه، ورسولًا عن أمته، وصلى الله عليك أفضل وأكمل صلاة، كما استنقذتنا من الضلالة، وهديتنا من الجهالة، وأشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت عدوك، وهديت أمتك، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين، فصلى الله عليك وعلى آل بيتك الطيبين.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يؤدبنا بآداب المصطفى ﷺ، وأن يجعلنا من المقتفين أثره، المتبعين لسنته، السائرين على نهجه، والسالكين على دربه، وأن يحشرنا معه ﷺ، وأن يسقينا من حوضه الشريف شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدًا.

وأخيرًا يا أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم... هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتاق إليكم، وإلى رؤيتكم، فهلا اشتقتم أنتم إليه.

فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: **" إن رسول الله ﷺ أتى المقبرة [١] فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أن قد رأيت إخواننا[٢]، قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي، إخواننا الذين لم يأتوا بعدُ، قالوا: كيف تعرف من لم يأت بعدُ من أمتك يا رسول الله؟ فقال: أرأيت[٣] لو أن رجلًا له خيلٌ غرٌ[٤] محجلةٌ[٥] بين ظهري خيلٍ دُهم[٦] بُهم[٧] ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنهم يأتون غرًّا محجلين من الوضوء وأنا فرطُهُم على الحوض".**

١ـ أتى المقبرة: أي البقيع..
٢ـ رأينا إخواننا: أي رأيتهم في الحياة الدنيا.
٣ـ أرأيت: أخبرني.
٤ـ الغرة: بياض في وجه الفرس.
٥ـ التحجيل: بياض في قوائمه.
٦ـ الدهم: السود.
٧ـ البهم: أي الذي لا يخالطهم لون غير السواد.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثَمَّ خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك